# إرهـــاب إسرائيـل المقـدس

## من مذكرات موسى شاريت

وزير الخارجية ورئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق

دراســة : ليفيا روكاش

**الطبعـة الأولــى**

**١٤٣٠هـ ـ يناير ٢٠٠٩ م**




**٩ شارع السعادة ـ أبراج عثمان ـ روكسى ـ القاهرة**

**تليفون وفاكس: ٢٤٥٠١٢٢٨ ـ ٢٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٢٥٦٥٩٣٩**

**المكتبة: ٢ شارع البورصة الجديدة ـ قصر النيل ـ القاهرة**

**تليفون وفاكس: ٢٣٩٣٨٠٧١ ـ ٢٣٩١٣٠٧٢**

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

# إرهاب إسرائيل المقدس

## من مذكرات موسى شاريت

وزير الخارجية ورئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق


دراسة : ليفيا روكاش

تقديم : ناعوم تشومسكى

ترجمة : ليلى حافظ




# الفهـــــرس

**الموضـــوع** **الصفحة**

# إهـــداء

**إلى كل الفلسطينيـين ضحـايا إرهاب إسـرائيل غـيـر المقـدس، الذين سيثبتـون أن تضحيـاتهم ومـعاناتهم ونضـالهم المستمر، ما هى إلا آلام مخاض إعادة مولد دولة فلسطين...**

**أ. خ. ج، أ. ع.**

# تقـديم

## بقلـم ناعـوم تشومسكى

التاريخ، خاصة التـاريخ القريب، تم تقديمه بشكل «خاص» إلى العامة فى إطار نظام عـقـائدى يقـوم على أسـاس بعض المذاهب الجـوهرية. فى حـالة المجتمعات الشمولية، المسألة واضحة وضوحا كبيرا لا تحتاج الى تعليق. ولكن بالنسبة للمجتمعات التى لا تمارس أشكالا فجة من القمع والسيطرة العقائدية، يصبح الوضع محيرا. فعلى سبيل المثال، تعتبر الولايات المتحدة إحدى أقل المجتمعات قمعا فى التاريخ الماضى والحاضر فيما يتعلق بحرية التحقق والتعبير. وبرغم من ذلك، فان من النادر أن يصل تحليل الأحداث التاريخية الحاسمة إلى أكبر عدد من الجمهور إلا إذا كانت متطابقة لمذاهب دينية محددة.

«تبدأ الولايات المتحدة دائما بالنوايا الحسنة». بتلك التعويذة الشعائرية، يمكن لشخص ليبرالى ينتقد سياسة التدخل الأمريكى، أن يدخل منطقة الحوار المسموح به، من الأفكار التى يمكن التفكير فيها (فى تلك الحالة، هو ويليام بفاف، فى مقاله «عقاب سياسة التدخل»، التى نشرت فى صحيفة الهيرالد تريبيون، فى فبراير عام ١٩٧٩). ومن أجل قبول العقيدة، فإن على المرء الذى لا يستطيع تحمل أكثر من درجة معينة من التناقضات الداخلية، أن يتجنب بإصرار السجل الوثائقى، الذى يتوفر بتوسع فى المجتمع الحر، على سبيل المثال، سجل التخطيط على أعلى مستوى الذى تعرضه أوراق البنتاجون، خاصة سجلات السنوات الأولى للتورط الامريكى فى الأربعينات وبداية الخمسينات، عندما كان يتم

تطوير وتشكيل الخطوط العريضة الأساسية للاستراتيجية. وعادة يمكن الاعتماد على المثقفين فى المهن الأكاديمية والإعلام من أجل تضيق الفجوة؛ هؤلاء سوف يرفضون الإذعان لتحليل المذاهب الدينية تحليلا نقديا، أو لشذب السجلات التاريخية والوثائقية بحيث يتم حماية تلك المذاهب من الاختبارات، والعمل على تقديم تصور للتاريخ يخلو من النقد أو التحليل المؤسسى. ويتم الخروج عن التشدد من وقت لآخر، ولكن بشكل نادر طالما أن هذا الخروج يتم داخل دوائر محدودة يمكن تجاهلها، أو استبعادها على إنها «غير مسئولة» أو «ساذجة» أو «فاشلة فى فهم تعقيدات التاريخ»، أو يتم تعريفها بشكل مختلف مع كلمات سرية مألوفة خارج كل نطاق.

برغم أن العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة لم تكن خالية، تمامًا، من الصراع، فإنه ما من شك فى أن بينهما، كما يقال كثيرًا، «علاقة خاصة». ذلك واضح على المستوى المادى، كما يمكن أن نقيسه بتدفق رأس المال والأسلحة، أو نقيسه بالدعم الدبلوماسى، أو بالعمليات المشتركة، مثلما فعلت إسرائيل عندما تحركت للدفاع عن مصالح أمريكا الحيوية فى الشرق الأوسط، خلال أزمة عام ١٩٧٠، والتى كانت تتضمن الأردن وسوريا والفلسطينيين. تظهر العلاقات الخاصة أيضا على مستوى العقيدة. ومرة أخرى، ومع استثناءات نادرة، يجب على المرء أن يتبنى بعض المذاهب الدينية من أجل الدخول فى حلقة الحوار، على الأقل أمام أى شريحة مهمة من المواطنين.

العقيدة الأساسية هى أن إسرائيل كانت ضحية سيئة الحظ للإرهاب ولهجمات عسكرية ولكراهية حقودة ولاعقلانية. من العادة أن نجد محللين سياسيين أمريكيين لديهم معلومات قوية، يكتبون أن إسرائيل تعرضت لهجوم من جيرانها، أربع مرات، بما فى ذلك فى عام ١٩٥٦ . وأحيانا يتم توبيخ إسرائيل لردها على الهجمات الإرهابية، وهو رد فعل يعتبر خطأ، وإن كان مفهوما. أما القناعة بأنه قد يكون لإسرائيل دور حيوى فى بدء وديمومة العنف والصراع، فذلك يتم التعبير عنه، إذا تم، بعيدا عن الاتجاه السائد. فى عمل أقدر من معظم

الأعمال الأخرى، قام به ناداف سافران، فى جامعة هارفارد، حول خلفيات حرب عام ١٩٥٦، يشرح ناداف أن ناصر «بدا عاقداً العزم على تعبئة كل موارد مصر العسكرية وقيادة الدول العربية فى هجوم على إسرائيل». كانت الغارة الإسرائيلية على غزة، فى فبراير عام ١٩٥٥ «عملية ثأرية» ضد إعدام المخربين الإسرائيليين شنقًا فى مصر؛ ويقول سافران أنه بعد ست سنوات فقط، اكتشف أن هؤلاء كانوا بالفعل عملاء إسرائيليين. كانت الخلفية المباشرة للصراع توصف على إنها غارات إرهابية يقوم بها الفدائيون، وان إسرائيل تقوم بالرد عليها. الإرهاب الذى نظمته المخابرات المصرية «أسهم بشكل أكيد فى قرار إسرائيل بالدخول فى حرب عام ١٩٥٦ وكان السبب الرئيسى فى رفض إسرائيل الانسحاب من قطاع غزة» (إسرائيل ـ الحليف المحارب، كامبريدج: مطابع جامعة هارفارد، ١٩٧٨).

من أجل التمسك بمثل تلك العقائد، أو تحليل واقعة بعينها تتطابق معها، من الضرورى أن تجنب بدقة، الوثائق الجوهرية. فى الدراسة التى قام بها سافران، وكتبها فى ٦٠٠ صفحة، لم يستخدم أى من المصادر الرئيسية مثل اليوميات التى تعرضها ليفيا روكاش هنا، وهى اليوميات التى نشرت بعض أجزائها المهمة وذات العلاقة، فى إسرائيل عام ١٩٧٥. كذلك من الضرورى تجنب استخدام أى من المصادر، التى قد تضعف تلك التحليلات. كما أن ذلك حقيقى أيضًا فيما يخص دراسة الآداب والصحافة بشكل عام.

تعتبر مذكرات أو يوميات موسى شاريت، والتى كرست لها ليڤيا روكاش دراستها، تعتبر بما لا يدعو للشك، مصدراً وثائقيًا أساسيًا. تلك اليوميات تبقى خارج «التاريخ الرسمى» ـ هذه النسخة من التاريخ التى تصل إلى أكثر قليلا من عدد محدود من القراء، الذين يشعرون بعدم الرضا تجاه الفكر التقليدى. من المنطقى أن نتوقع أن ذلك سيبقى حقيقة فى الولايات المتحدة طالما أن «العلاقات الخاصة» مستمرة. ولكن، على الجانب الآخر، فيما لو كانت إسرائيل حليفًا للاتحاد السوفييتى، فإن ما كشف عنه شاريت كان سيتحول بسرعة الى معلومات عامة.

عندما ندرس عملية تشكيل السياسات فى أى دولة، من العادة أن نجد انقساماً واضحًا بين المواقف المتشددة التى تدفع إلى استخدام القوة والعنف من أجل تحقيق أهداف الدولة، وبين توجهات «أكثر ليونة» تدعو الى الديبلوماسية أو الوسائل التجارية من أجل تحقيق نفس الأهداف ـ التمييز بين «البروسيين» و«التجار»، وهى التعبيرات التى اقترحها مايكل كلير فى كتابه عن السياسة الخارجية الأمريكية. الأهداف هى واحدة فى الأساس؛ ولكن الإجراءات المطلوب اتخاذها هى التى تختلف، على الأقل الى حد ما، وذلك واقع يمكنه فى النهاية أن يثقل على طبيعة الأهداف التى نسعى اليها. كان شاريت من دعاة التوجه «المعتدل». ولقد عكست هزيمته فى السياسات الإسرائيلية الداخلية صعود مواقف بن جوريون ودايان وآخرين، لم يترددوا فى استخدام العنف للوصول الى أهدافهم. إن يوميات شاريت تكشف بوضوح عن صورة الصراع الذى يتطور، كما يراه هو، وتقدم فهماً واضحًا لبداية تاريخ دولة إسرائيل، مع كل العواقب التى تمتد إلى الحاضر، وما بعده. لقد قدمت ليفيا روكاش خدمة قيمة عندما جعلت تلك الأوراق متاحة، لأول مرة، إلى كل هؤلاء الذين يهتمون باكتشاف العالم الحقيقى الذى يقبع وراء «التاريخ الرسمى».

**ناعوم تشومسكى**

١ يناير/ ١٩٨٠

## تمهيد للطبعة الثالثة

**بقلم ن . ع**

فى سعيه لتحقيق هدفه لنشر معلومات دقيقة حول الشرق الأوسط، فكر اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب، أنه من مصلحة الرأى العام نشر تلك الدراسة التى تقدم تحليلا للعلاقات الإسرائيلية العربية، فى فترة نهاية الأربعينيات والخمسينيات، فى ضوء اليوميات الخاصة لموسى شاريت[1]. لقد رأس شاريت القسم السياسى للوكالة اليهودية فى الفترة من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٤٨، ثم أصبح أول وزير خارجية لإسرائيل فى الفترة من عام ١٩٤٨ وحتى ١٩٥٦، عندما كان ديفيد بن جوريون رئيسا للوزراء، ثم أصبح رئيسا للوزراء عامى ١٩٥٤ و١٩٥٥ .

عندما نشر هذا الكتاب لأول مرة، قبل خمس سنوات، (١٩٨٠)، وقعت عدة أحداث كان من شأنها التأكيد على أهميته المستمرة. ورغم أن هذا العمل يركز أساسا على الأحداث التى وقعت فى الخمسينيات، فإن أن له أهمية تاريخية أكبر من ذلك. وبالفعل، فإن المعلومات التى يقدمها توضح أن سجلات الربع قرن الماضى، كان من السهل توقعها؛ والأسلوب الجديد الوحيد هو الشراسة التى استخدمتها الاستراتيجية الصهيونية فى الخمسينيات وخلال الحقب التالية. إذ لم تعد الحركة الصهيونية، تشعر أنها مضطرة لإخفاء نواياها الحقيقية. تدفعها تحالفاتها الإقليمية مع حزب الكتائب والعناصر اليمينية الأخرى فى جنوب لبنان، وعلاقتها الخاصة مع الولايات المتحدة، تدفعها مثل قوة هائلة تسحق كل ما يعترضها، فى سعيها نحو أهداف إمبريالية.

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عندما كان الشرق الأوسط والولايات المتحدة مشغولين بالمفاوضات المصرية الإسرائيلية التى قادت إلى اتفاقيات كامب ديفيد فى عام ١٩٧٨، والمعاهدة المصرية الإسرائيلية فى مارس عام ١٩٧٩، والغزو الإسرائيلى لجنوب لبنان فى مارس عام ١٩٧٨ . وبالتالى، فإن صيغة كامب ديفيد لم تفشل فى تحقيق تسوية شاملة فحسب، كما تعهد الرئيس جيمى كارتر، بل أسهمت أيضا فى الغزو الإسرائيلى الثانى للبنان، فى يونيه عام ١٩٨٢ . فمن خلال تحييد مصر، سمحت المعاهدة المصرية ـ الإسرائيلية لإسرائيل بالتقدم، بثقة، بخططتها من أجل كسر مقاومة الفلسطينيين والقضاء على الهوية القومية الفلسطينية تماماً، وذلك بهدف استمرار احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة، وهضبة الجولان. اليوم، القضية الفلسطينية أبعد من الحل السلمى والعادل عنها فى أى وقت آخر مضى، بينما لا تزال لبنان تعانى من النزيف والانقسام عبر خطوطها المذهبية.

لقد فشلت اتفاقيات كامب ديفيد وخطة ريجان التالية التى قدمت فى سبتمبر عام ١٩٨٢، بسبب ذرائع خاطئة حول «أمن» إسرائيل وتهديدات العرب لأمنها. ولقد أدت التطورات الأخيرة فى المنطقة إلى كشف مشاركة إدارة ريجان فى غزو إسرائيل للبنان، فى عام ١٩٨٢[٢]، وهو الغزو الذى تم حسابه بدقة لكى يقدم نتائج تقدر بأنها مفيدة لكل من المصالح الاستراتيجية الأمريكية، والأهداف التوسعية الإسرائيلية. لقد تضافرت مصالح إدارة ريجان وحكومة الليكود الإسرائيلية حول ثلاثة أهداف: تدمير البنية التحتية فى لبنان، وإعادة رسم الخريطة السياسية فى لبنان، وخفض حجم سوريا إلى نسب يمكن التعامل معها. كان لابد أن يتحقق السلام الأمريكى والسلام الإسرائيلى من خلال حملة، تم تسميتها بشكل ساخر «السلام من أجل الجليل».

لقد كانت «عملية» عام ١٩٨٢، مثل سابقتها، «عملية الليطانى» لعام ١٩٧٨، جزءا من الاستراتيجية الصهيونية القديمة الخاصة بلبنان وبفلسطين، والتى توضحها يوميات شاريت. فى الواقع، تلك الاستراتيجية، التى تم صياغتها

وتطبيقها خلال الخمسينيات، تم التفكير فيها قبل هذا التاريخ بأربعين عامًا على الأقل، ولا تزال محاولات تنفيذها مستمرة حتى بعد مرور ثلاثين عامًا. ففى ٦ نوفمبر عام ١٩١٨، قدمت لجنة من مسئولى الانتداب البريطانى والزعماء الصهاينة، خريطة توضح الحدود الشمالية المقترحة لفلسطين اليهودية «من شمال نهر الليطانى وحتى بانياس». فى العام التالى، وفى مؤتمر السلام بباريس، اقترحت الحركة الصهيونية حدودًا من شأنها أن تضم إليها مقاطعة بنت جبيل اللبنانية، وكل الأراضى التى تمتد حتى نهر الليطانى. ولقد شدد الاقتراح على «الأهمية الحيوية للسيطرة على كل ثروات المياه من مصادرها»[٣].

خلال مؤتمر باريس، حاول كل من حاييم وايزمان، وديفيد بن جوريون (اللذان أصبحا فيما بعد أول رئيس، أول رئيس وزارة لدولة إسرائيل) إقناع البطريرك الحويّك، الذى رأس الوفد اللبنانى، بأن يتنازل عن جنوب لبنان مقابل وعد بتقديم مساعدات تقنية ومالية لتطوير المنطقة وحتى الشمال، والتى كان أملهما أن تصبح دولة مسيحية.

احتلت القوات العسكرية الصهيونية التى غزت فلسطين فى عام ١٩٤٨، جزءا من إقليم مرجعيون وبنت جبيل، ووصلت إلى مشارف نهر الليطانى، ولكنها اضطرت إلى الانسحاب تحت ضغوط دولية. ومرة أخرى، فى عام ١٩٥٤، قام زعماء الدولة الإسرائيلية الوليدة، بتجديد المطالب الصهيونية على المياه اللبنانية عندما اقترح إيريك جونسون، المبعوث الشخصى للرئيس أيزنهاور، صيغة لتقسيم مياه الليطانى بين لبنان وسوريا وإسرائيل. ولكن فى الواقع، هددت إسرائيل باستخدام القوة ضد لبنان لمنع استخدامها لمياه الليطانى لتنمية جنوب لبنان.

فى الوقت الذى كانت إسرائيل توجه فيه تلك التهديدات، خلال الفترة التى تغطيها يوميات شاريت، فلنراجع ما الذى حدث بالفعل فيما بعد خلال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات: فى عام ١٩٦٧، أدت الحرب الإسرائيلية

ضد ثلاث دول عربية إلى احتلال إسرائيل، ليس شرق فلسطين (الضفة الغربية)، وغزة وسيناء وهضبة الجولان فحسب، ولكنها أيضا سمحت لإسرائيل بأن تحتل مصادر نهرى الأردن وبانياس. بالإضافة إلى قيام إسرائيل بتدمير قناة الغور الشرقية بالأردن وسد خالد على نهر اليرموك، الذى يتدفق إلى قنوات نهاريا. وفى عام ١٩٧٨ وخلال «عملية الليطانى»، فرضت إسرائيل سيطرتها الصارمة على نهر الوزانى، الذى يتدفق إلى الأردن، كما سيطرت على معظم نهر الحاصبانى. وفى عام ١٩٨٢، وعبر «عملية السلام من أجل الخليل»، صار كل نهر الليطانى تحت سيطرة إسرائيل.

لن يتم تحقيق هدف تغيير جوهرى، توزيع المياه فى المنطقة، إلا من خلال إطار وجود دولة لبنانية تابعة، فيها حكومة ضعيفة، وهى محاولة يتحدث عنها كثيراً شاريت فى يومياته (صفحة ٢٢). وفى الواقع، فإن خطة بن جوريون، التى وضعها فى عام ١٩٥٤ لإقامة مثل تلك الحكومات الضعيفة الموالية لهم، وهى الخطة التى تبناها موشيه دايان بحماس، تم تنفيذها بعد ربع قرن تقريبًا. فقد ظهر «الضابط» الذى أراده دايان بالفعل، بل كان يحمل أيضًا نفس الرتبة العسكرية «ميجور»، الميجور سعد حداد، الذى شجعته إسرائيل على إعلان الانفصال عن لبنان فى أبريل عام ١٩٧٩، وأعلن عيزرا وايزمان، وزير الدفاع الإسرائيلى، دعم حكومته لمقاطعة حداد التى أطلق عليها «لبنان الحر»: «إننى أعتبر حداد وطنيًا لبنانيًا، وحسب معلوماتى، فإنه يريد أن تصبح بيروت عاصمة لبنان حر ومستقل مرة أخرى، بدون تدخل من السوريين أو الفلسطينيين»[٤]. كما أعلن السياسيون اللبنانيون من الجناح اليمينى مساندتهم لحداد، وضمنيا مساندة تحالف كتائبى ـ صهيونى. فقد أعلن كميل شمعون «إننا بحاجة لمثل هذه القوات اللبنانية لكى نناضل فى الجنوب من أجل تحرير لبنان، وليس جزءا من لبنان، وسعد حداد ليس خائنًا»[٥].

لكن «الدويلة» وكيلة الصهيونية، التى أقيمت داخل شريط حدودى لا يتعدى ستة أميال عرضا وستين ميل طولا، رفضها المجتمع الدولى. وتم انتداب قوات

أمم متحدة، قوات فاصلة تابعة للأمم المتحدة فى لبنان (يونيفل)، للمساعدة فى إعادة توطيد سلطة الحكومة اللبنانية المركزية على الجنوب. ولكن إسرائيل تحدت قرار الأمم المتحدة الخاص بذلك (وهو القرار الذى ساندته حتى إدارة كارتر) واستمرت بإصرار فى مساندة حداد. بعد الاتفاق الذى تم فى مارس عام ١٩٨١ بين رئيسى سوريا ولبنان، من أجل إعادة توطيد، بالتعاون مع يونيفل، سلطة حكومة بيروت فى الجنوب، قامت ميليشيات إسرائيل وحداد بقصف مواقع يونيفل، وقتلت ثلاثة جنود نيجيريين (١٦ مارس عام ١٩٨١).

لقد اتخذت محاولات إسرائيل لزعزعة الاستقرار فى لبنان، فى سعيها لإقامة دولة عميلة يسيطر عليها المارونيون، عدة أشكال، إذ تراوحت ما بين نقل صيغة كامب ديفيد إلى لبنان، إلى القيام بعملية غزو شاملة فى عام١٩٨٢. وفيما يخص فرض حل كامب ديفيد على لبنان، قدم مناحم بيجين بيانًا إلى البرلمان الإسرائيلى فى ٧ مايو عام ١٩٧٩، دعا فيه لبنان إلى الدخول فى مفاوضات مع إسرائيل على أساس انسحاب السوريين وطرد الفلسطينيين من لبنان. ولقد أثار هذا العرض ردًا حماسيًا من بشير الجميل، قائد القوات اللبنانية «الذراع العسكرى لحزب الكتائب»، الذى أبلغ صحيفة مانداى مورنينج فى بيروت يوم ٢٨ مايو عام ١٩٧٩:

«هذه المبادئ جيدة، ويجب قبولها لأنها أساس أى محاولة لبنانية للوصول إلى حل؟ لقد قبل الرئيس السادات مقترحات مماثلة، وهو الآن يقود مصر إلى عصر من الرفاهية والثراء. متى سيسمح للبنان أن يكون له الحق فى أن ينشد رفاهيته؟»

أضاف الجميِّل الأب، بيير، قائلاً:

«قد تقولون إننى أدافع عن السادات كما دافعت عن سعد حداد؛ يا عزيزى، إن لم أدافع عن وجهة نظرى، لكنت جبانًا وبلا كرامة» (السفير، ٢ أغسطس ١٩٧٩).

كان من الواضح أن الهجوم الإسرائيلى ضد لبنان فى عام ١٩٨٢ كان يهدف

إلى التأكيد على تلك التحالفات بين إسرائيل و «الميجور» فى الجنوب، ومع آل الجميل وشمعون فى الشمال ـ وكل ذلك فى محاولة لتأمين عملية بلقنة وتحويل لبنان لتكون تابعا، ومحو القومية الفلسطينية، وتخويف سوريا. ومن أجل تحقيق تلك الأهداف، كان الزعماء الإسرائيليون على استعداد لأن يخاطروا بشن حرب إقليمية واسعة، ودفع العالم، بكل تأكيد، إلى ما يعتبر من كل النواحى، وضعا «سابقًا على حرب نووية». هذا وحده يمكن أن يعطى الشعب الأمريكى سببا للقلق والتحرك. بالإضافة إلى ذلك، فقد قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل الإمكانات الاقتصادية والعسكرية من أجل غزو لبنان، وقصف بغداد، والتأكيد على استمرارية احتلال الأراضى الفلسطينية والسورية، فى انتهاك واضح للقوانين الأمريكية، بما فى ذلك قانون الحد من تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦، واتفاقية الدفاع المشترك بين إسرائيل والولايات المتحدة لعام ١٩٥٢.

أدى اجتياح إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ إلى أن يميل الميزان لصالح حلفاء إسرائيل اللبنانيين إلى حد أن الغالبية من المسلمين، والقوميين وبعض الجماعات الأخرى المعادية لإسرائيل، باتت فى وضع خضوع حقيقى. وقام المنتصر بإملاء شروطه على المنهزم. بشير الجميل، الحليف الجديد لإسرائيل، يجب أن يصبح رئيسًا/ مبعوث لبنان، رغم أن، حسب قول الصحفى الأمريكى جوناثان راندال[٦]، بشير نفسه شكا وهو الذى يدين بالرئاسة إلى كل من بيجين وشارون، من أن هذين الاثنين يعاملانه على أنه «تابع». وأصبحت اتفاقية شولتز التى عقدت فى ١٧ مايو عام ١٩٨٣، بمثابة فرساى الدولة اللبنانية، التى قد تحقق الحلم الصهيونى القديم الذى وصفه شاريت فى يومياته بالدولة «المسيحية» التى ستتحالف مع إسرائيل.

رغم مقتل الرئيس المنتخب بشير الجميل قبل توليه الرئاسة، فإن الأمور الأولية تطورت، بما يتناسب مع استراتيجية إسرائيل فى لبنان. فقد بدا أن المفاوضات التى نظمها المدنيون من وزارة الخارجية فى الدولتين، تتجه نحو التطبيع على خط كامب ديفيد؛ وقامت إسرائيل بتأمين مكتب اتصالات فى بيروت، وهى الخطوة

الأخيرة قبل إقامة سفارة؛ وبدأ حزب الكتائب ونجل زعيمه، أمين الجميل، الذى أصبح رئيسا للبنان، إعادة تشكيل البلاد كما يتصورها. ولكن بسرعة، أصبح واضحًا أن الهيمنة المذهبية، والتى تدعمها إسرائيل وتساندها الولايات المتحدة، ستكون بديلا ضعيفا حتى للنظام الطائفى العتيق لعام ١٩٤٣، ومع حلول خريف عام ١٩٨٣، أجبرت القوات الإسرائيلية على الانسحاب جنوب نهر الليطانى. وفى فبراير عام ١٩٨٤، أمر الرئيس ريجان القوات الأمريكية بالانسحاب، بينما دخل المقاتلون من الدروز والشيعة دخول المنتصرين إلى بيروت (١٠ فبراير عام ١٩٨٤). وأجبرت الظروف السياسية والعسكرية الجديدة، الرئيس أمين الجميل، الذى يدين بالرئاسة إلى الغزو الإسرائيلى، إلى رفض اتفاقية شولتز (مارس ١٩٨٤) وإغلاق «مكتب اتصالات» إسرائيل فى بيروت (يوليه من نفس العام).

الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، لم يفشل فقط فى تحقيق كل أهدافه فحسب، ولكنه دفع بالقوات اللبنانية اليمينية إلى وضع متاخم للفاشية، وجعل إعادة الوحدة والاندماج احتمالا بعيدا. كما أججت الحرب الأهلية اللبنانية التى كلفت البلاد تكاليف غير محتملة من حياة البشر ومن الممتلكات.

تجبرنا المأساة الإنسانية تلك على اختبار المنطق الإسرائيلى الخاص بالـ «أمن»، وهو تعبير غطى، بشكل مثير للتساؤل، عددا كبيرا من الانتهاكات التى قامت بها إسرائيل ضد القانون الدولى وحقوق الإنسان ـ فى الوقت المعاصر وفى الماضى. إن علينا أن نتساءل: لماذا تغلق إسرائيل الجامعات فى الضفة الغربية وقطاع غزة وتطلق الرصاص على الطلاب فى مدرجات الدرس، وفى الشارع؟ لماذا ترحِّل الزعماء، وتطرد رؤساء البلديات؟ لماذا تقيم مستوطنات استعمارية؟ وتشجع العمليات الإرهابية التى يقوم بها المستوطنون؟ كل ذلك باسم «الأمن»؟ لماذا، عندما واجهت مقاومة شعبية عارمة ضد احتلالها لجنوب لبنان، كان رد فعل إسرائيل «القبضة الحديدية نفسها»، فنظمت غارات ضد القرى، وقامت باعتقال المدنيين، ودمرت على نطاق واسع، المنازل والممتلكات، وقامت باغتيالات، برغم أن تلك السياسة ستكون نتيجتها استعداء الشعب أكثر من أى وقت آخر.

تلقى اليوميات الخاصة لموسى شاريت الضوء على هذا التساؤل من خلال توثيق كبير، منطق وأسلوب عمل «السياسة العربية» التى انتهجتها إسرائيل خلال فترة نهاية الأربعينيات وحتى الخمسينيات. إن السياسة التى تصفها اليوميات، فى أكثر تفاصيلها الخاصة، ما هى إلا إحدى عمليات إسرائيل المقصودة للاستفزاز، تستهدف تأجيج عداء العرب وبذلك خلق مبررات من أجل العمل العسكرى والتوسع فى الأراضى. توثق سجلات شاريت تلك السياسة التى أطلق عليها «الإرهاب المقدس»، وتكشف عن أسطورة «احتياج إسرائيل للأمن»، و«الخطر العربى»، تلك الأساطير التى تعامل وكأنها حقائق مسلم بها منذ إقامة دولة إسرائيل وإلى اليوم، عندها وصل الإرهاب الإسرائيلى ضد الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وضد الفلسطينيين واللبنانيين فى جنوب لبنان، إلى مستوى لا يحتمل. يزيد الأمر وضوحا من أن التغييرات الاستثنائية السكانية والجغرافية التى تحدث فى المجتمع الإسرائيلى فى الجيل الحالى، لم تحدث كنتائج عرضية لمحاولات حماية «أمن إسرائيل» ضد «الخطر العربى»، ولكن حدثت نتيجة للسعى من أجل المجال الحيوى.

فى مقال للكاتب ويليام براوزر، نشرته صحيفة النيويورك تايمز فى ٥ يونيه عام ١٩٨٠، حول التفجيرات الإرهابية التى بترت سيقان اثنين من رؤساء بلديات الضفة الغربية وأصابت عدداً من المدنيين فى ٢ يونيه عام ١٩٨٠، شرح براوزر مخاوف الفلسطينيين فى الضفة الغربية، فقال: «برغم أن الاحتلال المسلح ليس أمراً جديداً عليهم، فإن الإرهاب الإسرائيلى ـ أن كان يمكن وصفه كذلك ـ ليس له مثيل على الإطلاق فى الثلاثين عام الماضية». ويتعين على السيد براوزر والقارئ المهتم بقراءة «الأخبار التى تستوجب النشر»، أن يدرس الأحداث السابقة التى تم توثيقها بشكل واسع، وانتقدها بعنف ما بين الفينة والفينة أحد رؤساء وزراء إسرائيل المترددين الذين يشعرون بالقلق من تدهور الروح المعنوية فى المجتمع الإسرائيلى فى الخمسينيات، مما أدى الى دفعهم للمطالبة بالانتقام واعتباره مبدأ «مقدس». فى الدراسة التى قدمتها روكاش، قالت نقلا عن يوميات شاريت قوله:

«فى الثلاثينيات قمنا بالسيطرة على مشاعر الانتقام. . . الآن، بالعكس، نقوم بتبرير نظام العمل الانتقامى. . . لقد أزلنا القيود الفكرية والأخلاقية التى تقوِّض تلك الغريزة وجعلنا من الممكن. . . دعم الانتقام كقيمة أخلاقية. . كمبدأ مقدس» (صفحة ٣٣).

السعادة التى لم يخفها المستوطنون اليهود فى الضفة الغربية بعد بتر سيقان اثنين من رؤساء البلديات الفلسطينيين، تعيد إلى الأذهان الشعور الذى ساد إسرائيل فى الخمسينيات وتسبب فى إثارة مخاوف شاريت بشدة، وتحدى ضميره. ففى الواقع، أيدت القوات الخاصة، التى تنظمها الآن مجموعات المراقبة اليهودية، والتى تصر على إبقاء الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين تحت سيطرة إسرائيلية دائمة، استبعاد كل العرب من فلسطين المحتلة. برغم أن هؤلاء القوميين المتشددين اعتبروا أن كلاًّ من مناحم بيجين، رئيس الوزراء الأسبق، ووزير خارجيته إسحق شامير (وهما من قادة عصابتى أرجون وشترن الإرهابيتين) أصبحا جبناء وأغبياء وخونة، وبرغم أن بيجين ندد بالهجمات على رؤساء البلديات الفلسطينيين واعتبرها «جرائم من أسوأ الأنواع»، إنه يبقى أن المستوطنين فى جوش أمونيم، وكاش ينتهجون سياسة المستوطنات التى وضعتها الحكومة الإسرائيلية. هذه الحكومة تمدهم بالحماية والمزايا الاقتصادية، وتزودهم بالشرعية. وللسبب نفسه، فإنها تضمن أن ضحاياهم سيكونوا بلا حماية وبلا سلطة. إن كلاً من مذبحة دير ياسين لعام ١٩٤٨ التى ارتكبها أرجون، التى كان يرأسها بيجين، والقصف الذى وقع، فى ٢ يونيه عام ١٩٨٠ والذى قامت به مجموعة مراقبة أخرى، ما هما إلا نتاج نوعية «الإرهاب المقدس نفسها».

شهدت الاثنان وثلاثين عامًا التى فصلت بين الحادثتين العديد من الأعمال الإرهابية الإسرائيلية. من الضرورى التذكير بعمليات القصف الجوى للبنية التحتية المدنية فى مصر وسوريا فى نهاية الستينيات[٧]، أو تدمير جنوب لبنان، فى السبعينيات والثمانينيات، أو نذكر القسوة التى يعامل بها نظام الاحتلال

الفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة، أو الاغتيالات العديدة للمفكرين والمثقفين الفلسطينيين فى عدد من العواصم الأوروبية فى بداية السبعينيات.

إن أكثر الظواهر المثيرة للقلق، والتى ستظل تكبح أى احتمالات للتعايش بين الإسرائيليين والفلسطينيين، هو صعود اليمين المتطرف فى إسرائيل. وهو فى سعيه نحو القوة المفرطة، وتصرفاته مع العرب، وازدرائه للحوار والاختلاف، لا يترك مكانا كبيرا للتعايش. يتزايد بسرعة كبيرة بين أعضاء المؤسسة السياسية، والمستوطنين اليهود تبرير أعمال الإرهاب ضد المدنيين الفلسطينيين. لقد سجل لعدد من المسئولين الإسرائيليين أمثال: يوفال نيمان، وزير العلوم والطاقة السابق، وحاييم دروكمان، عضو الكنيست، ورافائيل إيتان قائد القوات المسلحة السابق، وموردخاى إيلياهو كبير حاخامات السفارديم، أنهم يبررون هذا النوع من الإرهاب(٨). وفى يوليه عام ١٩٨٥، تعهد إسحق شامير، وزير الخارجية، بالعمل من أجل الإفراج قبل الموعد عن الإرهابيين اليهود المدانين، والذين وصفهم بأنهم «أشخاص ممتازون ارتكبوا خطأً» (جيروزاليم بوست، ١٢ يوليه ١٩٨٥). استقر النزوع استخدام العنف ضد العرب، بشكل واضح، فى الحوارات التى أجراها الصحفيون الإسرائيليون والغربيون مع المستوطنين (٩).

يتحدث اليمين المتطرف الآن، بلا مواربة، عن نزع الملكية عن الفلسطينيين وترحيلهم. وكتب يورام بيرى، خبير علم اجتماع إسرائيلى، يقول فى دافار (١١ مايو ١٩٨٤) إنه بينما يتحدث أرنز وزير الدفاع، وشامير وزير الخارجية عن ضم الضفة الغربية وغزة، وتشكيل مجتمع «متعدد»، فإن اليمين المتطرف يدعو إلى ترانسفير (ترحيل جماعى)، وهو تعبير لم يكن يجرؤ أحد على النطق به قبل أربع سنوات. وكتب يقول: «مما يؤكد تقارب اليمين الى الفكر الفاشيستى للدولة».

عامل آخر يمنع التعايش؛ هو الأسلوب المتعجرف الذى يطالب به أعضاء المؤسسة لفرض سيادتهم على الضفة الغربية وغزة. لقد أبدى شامير، وزير الخارجية، إزدراءً كبيراً إزاء الاحتياج للجدل والإقناع، إلى حد أن رده على

سؤال عن السبب الذى من أجله تطالب إسرائيل بتلك الأراضى، لم يتعد كلمة واحدة: «لأن..»!!. وجه شلومو جورين، كبير الحاخامات الإسرائيلى، ملاحظة بأن الاحتفاظ بالأراضى المحتلة حسب القوانين الدينية يأخذ الأولوية على مهمة حماية الأرواح. وتعبيرات مثل «ايريتز إسرائيل الغربية» أو «جوديا وساماريا»(*)، التى تستخدم بشكل متكرر ومؤكد، تمثل إحياء الفكر الصهيونى الرجعى الذى يعنى أن «أرض إسرائيل» تضم أيضا أرض الأردن اليوم، وتؤكد على تصميم الزعماء الإسرائيليين ألا يتنازلوا، أبداً، عن الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلتين بشكل غير قانونى.

كلما حاول أحد أن يفهم الوضع فى الشرق الأوسط، كلما حاولت المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة، التى تعمل بالتنسيق مع إسرائيل، على إثارة الضباب حولها. أزالت الحروب الإسرائيلية ضد العرب فى عامى ١٩٦٧ و١٩٨٢ [وما بعدها] صورة داود التى كانت إسرائيل تختبئ وراءها، وتؤكد أنها جولياث فى الشرق الأوسط. لم يعد باستطاعة الحكومة الإسرائيلية أن تتهرب من تدقيق الرأى العام، رغم كل المناعة التى تتمتع بها فى داخل دائرة الرأى العام الأمريكى، بعد أن قامت قواتها المسلحة باسم «الأمن» للمدنيين الإسرائيليين، بارتكاب أقسى عمليات قصف جوى وقعت منذ فيتنام. ووصف السفير الأمريكى فى لبنان، الذى تستخدم حكومته حق النقض (الفيتو) فى مجلس الأمن للاعتراض على مكاسب إسرائيل فى حرب عام ١٩٨٢، وصف هذا القصف العنيف بقوله: «ليس هناك دقة نهائية ضد الأهداف فى الفضاء المفتوح». وقال السفير الكندى إن القصف الإسرائيلى «سيجعل برلين عام ١٩٤٤، تبدو مثل حفل شاى... إنه حقيقة مشهد من رواية الجحيم لدانتى». وقال جون تشانسلر من شبكة إن بى سى: «لقد ظللت أفكر فى قصف مدريد خلال الحرب الأهلية الإسبانية.. إننا اليوم بصدد إسرائيل الإمبريالية.» بالفعل، إن القصف

(*) مصطلحات توراتية يستخدمها الصهاينة لإثبات حق دولة إسرائيل الدينى فى الأراضى المحتلة، ويعنى الأول «أرض إسرائيل»، والثانى جنوب إسرائيل، وشمال الضفة الغربية ـ المترجمة.

الإسرائيلى لبيروت، فى شكله الاجرامى الخالص، بسبب استخدامه المتكرر للقنابل الفوسفورية والعنقودية، يعتبر شكلاً متقدماً لإرهاب الدولة، الذى تجاوز ولبعيد الهجمات على جويرنيكا، وكوفينترى ودريزدن.

منذ نشر هذا الكتاب، لأول مرة فى عام ١٩٨٠، كان رد فعل الحركة الصهيونية إزاء تزايد الانتقادات ضد العنف الإسرائيلى، هستيرياً. فقد قامت إسرائيل بمراقبة ورصد أنشطة هؤلاء الذين انتقدوا إسرائيل فى وسائل الإعلام وفى الكنائس، والجامعات، وقامت بجمع المعلومات السرية عنهم، ووضعهم على القوائم السوداء، مما أعاد الى الأذهان عصر ماكارثى فى الولايات المتحدة؛ كل ذلك كان من بين الترتيب الذى استخدمته المنظمات الصهيونية من أجل خنق أى محاولات لانتقاد إسرائيل[١٠]. أما تعليق صفة معاد للسامية على المنتقدين، فأصبح ذلك الأسلوب الأكثر شيوعاً، والأسهل، من أجل السيطرة على أية مناقشات عقلانية للسياسة العامة الخاصة بإسرائيل، وتخويف أى شخص يحاول أن ينتقدها. وتضم قائمة الضحايا شخصيات متميزة مثل تشارلز بيرسى عضو مجلس الشيوخ السابق، والقس جيسى جاكسون، وجورج بول، نائب وزير الخارجية السابق، وبول فيندلى[١١] عضو الكونجرس السابق، وشخصيات عديدة أخرى أقل شهرة، صارعوا ضد تيارات عصيبة من أجل الاحتفاظ بعملهم وتأمين مستوى معيشتهم. إن مقولة مناحم بيجين الشهيرة التى أطلقها بعد مذابح صبرا وشاتيلا، والتى وصف فيها الانتقادات الموجهة ضد إسرائيل على إنها «قذف دموى ضد الشعب اليهودى»، هى «مثال واضح على التوجه الذى يجعل الانتقاد الصريح لسياسة إسرائيل مثيل لمعاداة السامية، وفى الوقت نفسه تستمر إسرائيل فى إقامة علاقات تجارية وتعاون عسكرى مع أكثر النظم معاداة للسامية فى وسط وجنوب أمريكا»[١٢]. لقد تم الكشف عن حرب إسرائيل ضد الصحفيين فى دعوى قضائية ضد شبكة إن بى سى بعد أن غطت فى تقرير غزو لبنان عام ١٩٨٢[١٣]، وفى اتهاماتها المتكررة بأن الصحفيين الذين يغطون أنباء ضارة بإسرائيل يفعلون ذلك استجابة لـ «تهديدات» العرب فحسب، وبقتل أحد

أعضاء فريق شبكة السى بى إس فى جنوب لبنان، بينما كان يغطى عملية تنفيذ سياسة «القبضة الحديدية» الإسرائيلية (٢١ مارس، ١٩٨٥).

فى ردود هستيرية أخرى على تزايد المعلومات عن الأحداث الحقيقية فى صراع الشرق الأوسط، ظهرت كتابات قام بها خبراء دعاية تخفوا فى شكل طلاب ودارسين. فى كتاب «من زمن سحيق»[١٤] قلبت جوان بيترس التاريخ رأسًا على عقب بعد أن أدعت بان اليهود لم يأخذوا مكان الفلسطينيين الأصليين، الذين فى رأيها لم يكونوا إلا «عمال عرب مهاجرين غير شرعيين، انتقلوا إلى حيث وجدوا عمل». إن الاتهام السخيف، والذى لا يمكن الدفاع عنه، بأنه لم يكن هناك أى عرب فى فلسطين قبل النزوح الصهيونى، يبدو أن المراد به توفير غطاء من الشرعية للجهود القاسية التى ترتكبها إسرائيل من أجل جعل الأسطورة التى تقول إنه «ليس هناك شيئا اسمه فلسطينى» حقيقة مخيفة[١٥].

امتدت جهود الصهيونية لخنق الحوار العام حول التحركات الإسرائيلية إلى الدراسة الحالية. فبعد محاولات ناجحة من المؤسسة الإسرائيلية لمنع نشر يوميات شاريت بالعبرية فى إسرائيل، جرت محاولات من خلال التهديد برفع دعاوى قضائية، وطرق أخرى، من أجل منعنا من نشر هذه الدراسة من اليوميات فى الولايات المتحدة. فى ١١ أبريل عام ١٩٨٠؛ تلقى اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب اتصالاً من مكتب محاماة شهير فى نيويورك يطلب «بأكثر الطرق الممكنة حسمًا» أن نمتنع عن الطبع أو النشر أو نشر مقاطع من اليوميات، بطرق أخرى. وهدد مكتب المحاماة، الذى كان يتحدث باسم عائلة الراحل، موشيه شاريت والناشر الإسرائيلى لليوميات، «برفع دعوى سريعة فى محكمة إقليمية فيدرالية» موجهة اتهاما بانتهاك قوانين حقوق النشر فى الولايات المتحدة.

ومن ثم، تلقى اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب برقية من عائلة شاريت، تؤكد فيها أنها ستحمى بقوة كل الحقوق إنْ قام الاتحاد بنشر «مقاطع أو

كل يوميات موسى شاريت» . كما تلقى مكتبنا اتصالات هاتفية عبر الأطلنطى من الإعلام الإسرائيلى تعبر عن قلق . لقد أثيرت تساؤلات حول حقنا فى النشر ، ولكن ليس على أساس الحقوق القانونية التى أشارت إليها عائلة شاريت ومحاميها ، بل وجهت إلينا اتهامات هستيرية بمحاولة فضح إسرائيل عبر شاريت بأسلوب مثير . كتبت الصحيفة الإسرائيلية «معاريف» مقالا فى الصفحة الاولى عنوانه : «كارهو إسرائيل فى الولايات المتحدة ترجموا بدون إذن يوميات موسى شاريت» (٤ أبريل ١٩٨٠) . وحسب يورى أفنيرى ، عضو الكنيست السابق ، فى مقال كتبه فى هاولام هازيه (٢٣ سبتمبر عام ١٩٨٠) ، قامت الخارجية الإسرائيلية ، فى البداية بمساندة ياكوف ابن موسى شاريت ، الذى راجع النص العبرى لليوميات ، فى محاولته منع نشر الدراسة التى قامت بها ليفيا روكاش مستندة فيها إلى اليوميات . «ولكنه أصيب بخيبة أمل ، عندما لم تلتزم الوزارة بمساندتها له . فقد قرر سياسيو القدس أن الاستمرار فى رفع الدعوى القضائية لوقف نشر الكتاب سيكون خطأ من الدرجة الاولى ؛ حيث إن ذلك سوف يعطيها دعاية كبيرة . »

من الواضح أن متهمينا قاموا ، ليس بالحكم مسبقا فحسب على كتابنا قبل نشره وشهروا بالمنظمة والأفراد الذين عملوا فى النشر ؛ ولكنهم أيضًا ، افترضوا أن الكتاب الذى نشرناه تحت ترجمته بدون تفويض . وفى الواقع ، فان المقاطع التى ترجمناها بالنص من يوميات شاريت ، أو أعيد صياغتها بشكل دقيق من اليوميات ، تشكل نحو ١٪ فقط من اليوميات . إن الدراسة التى قامت بها روكاش استخدمت فيها مقاطع من يوميات شاريت من أجل تأكيد وتوضيح نظريتها .

إننا لا نشك على الإطلاق بأن التحدى الذى نواجهه هو ، فى الأساس ، قانونى . ففى النهاية ، ما قاله شاريت فى يومياته ، والذى اقتصر على القارئ متحدث العبرية ، يكشف الكثير ؛ فهو يمثل اتهامًا للصهيونية ، موجه من رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ، ويجرد الكثير من الافتراضات الخاطئة عن الصراع العربى ـ الإسرائيلى . إنها تدحض عقيدة عمرها أكثر من ثلاثين عامًا ، وتؤكد

على الحاجة إلى إعادة فحص فكرة «مساندة إسرائيل بلا أى انتقاد» التى تمتعت بها إسرائيل فى الغرب فى سياستها نحو العرب. من هنا، كان احتياج إسرائيل لحظر النشر، لإخفاء معلومات حيوية ومهمة عن الحوار العام حول الشرق الأوسط. إننا لنتذكر بالكثير من الألم محاولات مماثلة من أجل إخفاء وسائل خداعية استخدمتها المؤسسة السياسية والعسكرية الأمريكية فى حربها ضد الفيتناميين. أدت قدرة المؤسسة على إخفاء الحقيقة عن المواطن الأمريكى إلى إطالة أمد حرب فيتنام، وإلى تفاقم المشاكل الاجتماعية، والاقتصادية، والإنسانية، التى خلَّفتها تلك الحرب. سوف نأمل ألا نخفى عن الرأى العام الأمريكى الاستراتيجية المضللة التى انتهجها ديفيد بن جوريون، والتى وثقها موسى شاريت فى سجل دوَّنه يوما بيوم، هذا الرأى العام الذى رأى حياته تتأثر ماديا بالأحداث فى الشرق الأوسط. وهكذا، من وجهة نظرنا، فإن دراسة «إرهاب إسرائيل المقدس» أهمية لا تقبل الشك فى تشكيل سياسة صحية وموضوعية نحو الشرق الأوسط.

نرى أن يوميات شاريت الخاصة تعد مصدراً تاريخيًا مهما للغاية، من شأنها أن تلقى ضوءاً كاشفًا على سياسة إسرائيل تجاه العالم العربى، خاصة بالنسبة لنا جميعا فى الولايات المتحدة الذين يسهمون كثيراً فى تطورات الشرق الأوسط، والعواقب المحتملة للصراع. لذلك، فان استخدام المصدر التاريخى لشاريت من أجل إجراء دراسات أكاديمية لا يخالف قوانين حقوق النشر.

برغم ذلك، فقد أخذنا احتياطات خاصة من أجل ضمان أن ما اخترناه من اليوميات تمت ترجمته بدقة، ولم يخرج عن الصياغة العامة، ولم يتم تغييره أو نقضه بأى شئ آخر كتبه شاريت فى مكان آخر فى اليوميات. إننا، أيضًا على يقين بأن تلك المختارات ترضى معايير «الاستخدام العادل» لقانون حق الملكية الأمريكى:

١ ـ إن اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب منظمة غير ربحية وتعليمية، لا تنشر تلك الدراسة من أجل استغلالها، تجاريًا.

٢ ـ إن طبيعة يوميات شاريت ذات صلة مادية بـ «حق المواطنين أن يعرفوا».

٣ ـ كمية المواد فى هذا المطبوعة التى تتعلق بحق النشر لا تتجاوز ١٪ من كل المنشور.

٤ ـ القيمة الاقتصادية للعمل الأصلى لن تتأثر، سلبًا، من جراء المقولات المحدودة التى تضمها تلك الدراسة.

إننا نلجأ الى الحماية التى كفلها التعديل الأول بالدستور الأمريكى، والذى يضم حرية الكلمة والصحافة و«حق المواطنين فى المعرفة». لقد تم فتح ملفات البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) إلى العامة بعد أن ظلت فى أرشيف البيروقراطية العسكرية الأمريكى، لا يلاحظها أحد. إن الطبيعة الخطيرة لمحتويات تلك الملفات كانت، وما تزال، تستوجب الكشف عنها قبل زمن طويل. الكشف عن يوميات شاريت يجب ألا يخضع لنفس «الحبس» البيروقراطى، أو أن بقى بعيدا عن قراء الإنجليزية، حتى لا تلغى فائدتها كعامل أساسى فى سياسة الشرق الأوسط.

**ن. ع.**

**أ. خ. ج. أ. ع.**

نوفمبر ١٩٨٥

**حواشى التمهيد :**

(١) موسى شاريت، يومان ايشى (اليوميات الخاصة)، الناشر ياكوف شاريت (تل أبيب : معاريف ١٩٧٩).

(٢) على سبيل المثال، مع حلول تقاعده فى مايو عام ١٩٨٥، كشف صمويل لويس سفير أمريكا فى إسرائيل انه فى ديسمبر ١٩٨١ قام آرييل شارون وزير الدفاع الإسرائيلى بإعطاء موجز عن خططه الخاصة بالغزو الوشيك إلى فيليب حبيب المبعوث الأمريكى (واشنطن بوست، ٢٤ مايو ١٩٨٥)

(٣) انظر على سبيل المثال، توماس ستوفار، «إسرائيل تقيس ثمن السلام : المال والمياه»، كريستيان ساينس مونيتور، ١٣ يناير ١٩٨٢، و«احتياجات إسرائيل من المياه قد تؤدى إلى تآكل الطريق إلى السلام فى المنطقة»، كريستيان ساينس مونيتور ٢٠ يناير ١٩٨٢ ؛ جون كولى، «سوريا تربط الانسحاب بضمانات الحصول على المياه»، واشنطن بوست ٨ يونيه ١٩٨٣ ؛ وليزلى شميدا «مطالب إسرائيل من المياه»، لينك، ١٧، ٤ (نوفمبر ١٩٩٤).

(٤) كلمة نقلتها صحيفتا «النهار» و«السفير» البيروتيتان، ٢٢ أبريل ١٩٧٩ .

(٥) مقولة نقلها «اتحاد الانعزاليين الإسرائيليين ظاهرة تهدد وحدة لبنان»، وقدمت فى المؤتمر العالمى من اجل التضامن مع الشعب اللبنانى، باريس ١٦ - ١٨ يونية ١٩٨٠ (بيروت : مكتب الإعلام التابع للحركة الوطنية اللبنانية، ١٩٨٠)، ٩ .

(٦) جوناثان رندال، الذهاب إلى نهاية الطريق : زعماء الحرب المسيحيين، المغامرون الإسرائيليون، والحرب فى لبنان (نيويورك : دار نشر فايكينج، ١٩٨٣)، ١٠-١١ .

(٧) فى نهاية الستينيات والسبعينيات، حوّل القصف الإسرائيلى لمدن السويس والإسماعيلية وبورسعيد المصرية إلى مدن أشباح. وخلال الفترة نفسها، قامت إسرائيل بغارات جوية متكررة ضد سوريا. وبعد قتل ١١ رياضياً إسرائيلياً فى أولمبياد ميونيخ فى عام ١٩٧٢،

قتل على الأقل ٢٠٠ شخص، كلهم تقريبا من المدنيين، فى غارات «انتقامية» إسرائيلية فى سوريا تحديداً. ديفيد هيرست، البندقية وغصن الزيتون (لندن: فوتورا، ١٩٧٨)، ٢٥١ـ٢٥٢.

(٨) اقرأ مقالات يورام بيرى فى دافار، ١١ مايو ١٩٨٤، ياكوف راهاميم فى معاريف، ١٤ ديسمبر ١٩٨٣، ومارى كورتيوس، «الحوار الإسرائيلى: هل يجب أن نعفوا عن المستوطنين؟» كريستيان ساينس مونيتور، ١٥ يوليه ١٩٨٥.

(٩) اقرأ على سبيل المثال، كريستيان ساينس مونيتور، ١٠ مايو ١٩٨٤.

(١٠) فى مؤتمره العام السنوى فى عام ١٩٨٤، دعا اتحاد دراسات الشرق الأوسط، لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك) ورابطة مناهضة تشويه السمعة (بناى بريت) إلى «إنكار والامتناع عن» وضع الممارسات ضد المثقفين والطلاب على القائمة السوداء. وللحصول على معلومات إضافية عن الجهود التى يبذلها مؤيدو إسرائيل من أجل إلغاء فتح الحوار. انظر على سبيل المثال، نصير العارورى، «الشرق الأوسط فى الجامعات الأمريكية»، لينك، ١٨، ٢ (مايو يونيه ١٩٨٥).

(١١) فيندلى، عضو مجلس الشيوخ، وثق التأثير الموسع للجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك) فى «من يجرؤ على الاعتراف؟! (وستبورت، كونتيكت: لورانس هيل، ١٩٨٥).

(١٢) من أجل الحصول على تحاليل مفصلة لعلاقة إسرائيل مع نظم أمريكا الوسطى، اقرأ ميلتون جميل ومارجو جوتيرز «إنه ليس سرا: العسكرية الإسرائيلية، التورط فى أمريكا الوسطى»، تنشر قريبا فى اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب. اقرأ أيضا إسرائيل شاحاك «الدور العالمى: أسلحة من أجل القمع» (بلمونت، ماساشوستس: اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب، ١٩٨٢)

(١٣) فى مايو ١٩٩٤، قامت منظمة موالية لإسرائيل تدعى «أمريكيون من أجل إسرائيل آمنة» بتقديم التماس إلى لجنة الاتصالات الفيدرالية، من أجل رفض تجديد تراخيص تشغيل شبكة «دبليو إن بى سى ـ تى فى» فى نيويورك، وسبعة أفرع أخرى لشبكة إن بى سى، لاتهامها « بتقديم تغطية من جانب واحد عن الحرب فى لبنان. انظر كريستيان ساينس مونيتور، ١٤ مايو ١٩٨٤. «أمريكيون من أجل إسرائيل آمنة» فوضت البروفيسور إدوارد إلكساندر ليكت دراسة نشرت تحت عنوان «حرب إن بى سى فى لبنان: المرآة المشوهة» ١٩٨٣.

(١٤) كمثال على ذلك كتاب زئيف شافيتس، «رؤية مزدوجة: كيف تشوه الصحافة الإعلام الامريكى، من ميدل لاست» (نيويورك: ويليام مورو، ١٩٨٣). شافيتس رئيس سابق لمكتب الإعلام الإسرائيلى فى القدس. ولقد نفى الصحفيون الأمريكيون بشدة تلك الاتهامات. (انظر على سبيل المثال تشارلز جلاس، مراسل شبكة ايه بى سى فى بيروت، فى تحديث سى بى جيه [نشرتها لجنة حماية الصحفيين سى بى جيه]، نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٤).

(١٥) نيويورك: هاربر، ورو، ١٩٨٤، العروض النقدية لكتاب بيتر، انظر نورمان فينكلشتاين، فى «فى تلك الفترات» ٥ ١١ سبتمبر ١٩٨٤، ١٢-١٣ محمد حلاج، «من زمن سحيق: إحياء الأسطورة،» لينك، ١٨، ١ (يناير مارس ١٩٨٥)؛ وايان جيلمور وديفيد جيلمور، فى مجلة دراسات عربية ربع سنوية، ٧، ٢ ٣ (ربيع/ صيف ١٩٨٥)، ١٨١-١٩٥.

**لجنة إصدارات اتحاد خريجى الجامعة الأمريكية العرب، نوفمبر ١٩٨٥**

# مقدمة

قام الدعم الشعبى الذى حصلت عليه إسرائيل خلال الربع الأخير من القرن العشرين على أساس عدد من الأساطير، أكثر تلك الأساطير تكراراً كانت تلك الخاصة بأمن إسرائيل. وتحت زعم أن تهديدات خطيرة ودائمة يواجهها بقاء المجتمع اليهودى فى فلسطين، يتم تغذية تلك الأسطورة بعناية شديدة من أجل إثارة صور مخيفة لدى الرأى العام لسماح، بل ولتشجيع، استخدام كميات كبيرة من الأموال العامة لدعم إسرائيل عسكريًا واقتصاديًا. ويبقى «أمن إسرائيل» هو الذريعة الرسمية التى من خلالها تنكر، ليس فقط إسرائيل، بل أيضًا الولايات المتحدة، حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره فى وطنه. وطوال الثلاثين عامًا الماضية، تم قبول تلك الذريعة كتفسير شرعى لانتهاك إسرائيل للقرارات الدولية التى تدعو إلى عودة الشعب الفلسطينى إلى وطنه. وخلال الثلاث عشر سنة الماضية، تم السماح لإسرائيل بأن تحتج بأمنها لتبرير رفضها الانسحاب من الأراضى العربية والفلسطينية التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ .
ولا يزال الأمن هو المبرر الذى تقدمه الحكومات الإسرائيلية المتتالية للمذابح التى ترتكبها على نطاق واسع، ضد المدنيين فى لبنان، ولمصادرة الأرض العربية من أجل إقامة مستوطنات يهودية فى الأراضى المحتلة، ولترحيل وللاعتقالات السياسية التعسفية. ورغم أن أمن الشعوب العربية فى كل المنطقة ظل مهددا بشكل متكرر، خلال تلك السنوات من خلال حروب مفتوحة وسرية، ومن خلال مؤامرات إرهابية ومخططات تخريبية، ورغم أن قرارات الأمم المتحدة

تطالب بإقامة حدود آمنة لكل الدول فى المنطقة، فإنه حتى الآن، ظل أمن إسرائيل هو الذى يقع فى قلب النقاش الدولى.

تبين استمرارية أسطورة «أمن إسرائيل» أن هناك اعتقادا شعبيا كبيرا فيما يمكن أن نطلق عليه الالتزام العربى بإزالة الدولة اليهودية. ومعظم الكتاب الغربيين الكبار الذين يقدمون تلك القضية يستمدون حججهم من الرواية الصهيونية لأحداث نهاية الأربعينيات، عندما نشأت دولة إسرائيل، وفى منتصف الخمسينيات، عندما تولى عبد الناصر السلطة. وينطلق الكتاب من تلك الحجج من أجل تقديم ما أطلق عليه صراع إسرائيل من أجل أمنها وبقاءها، كقضية أخلاقية. وفى أحيان كثيرة يقوم الإعلام بتزويد السياسيين، الذين لديهم أسبابًا أخرى لمساندة إسرائيل سياسيًا وعسكريًا، بالقضية المناسبة للالتزام المعنوى الغربى تجاه إسرائيل.

فى معظم الأحيان؛ يتم تجاهل الصيغ الأخرى التى تستخدم فى تناول الموضوع. فعلى سبيل المثال، لم يلاحظ أحد كثيرا ما كشف عنه ناحوم جولدمان، مؤخرا (لوموند دبلوماتيك، أغسطس ١٩٧٩). فقد اتهم جولدمان، الذى رأس، لأكثر من ثلاثين عامًا المؤتمر اليهودى العالمى الموالى للصهيونية، بأنه لم يتم استشارة العرب فيما يخص تقسيم فلسطين فى عام ١٩٤٧، كما أن رغبتهم فى التفاوض بشأن حل وسط سياسى كان من الممكن من خلاله تجنب حرب عام ١٩٤٨، تم استبعادها وتقليل شأنها من قبل بن جوريون، قبل مايو ١٩٤٨.

تقدم يوميات موسى شاريت التى نشرت مؤخرًا (يومان ايشى، تل أبيب: معاريف، ١٩٧٩، بالعبرية) مساهمة حاسمة، وذات موثوقية فى عملية إزالة الغموض عن أسطورة أمن إسرائيل، وسياساتها الخاصة بالأمن. فى الفترة ما بين عام ١٩٣٣ و١٩٤٨، قاد شاريت العلاقات الدولية للحركة الصهيونية، بصفته رئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية، وفى الفترة من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦، تولى شاريت منصب وزير خارجية إسرائيل. فى عامى ١٩٥٤ و١٩٥٥

تولى منصب رئيس الوزراء أيضًا . تتضمن الأوراق التالية مقتطفات من يوميات شاريت التى تظهر النقاط التالية :

١ ـ إن المؤسسة السياسية والعسكرية الإسرائيلية لم تعتقد قط ، وبشكل جاد ، فى وجود خطر عربى على الوجود الإسرائيلى . بل بالعكس ، فقد سعت وطبقت كل الوسائل من أجل تفاقم معضلة النظم العربية بعد حرب عام ١٩٤٨ . لقد كانت الحكومات العربية مترددة فى الدخول فى أى مواجهة عسكرية مع إسرائيل ، ولكن من أجل البقاء ، كان عليها أن تستعرض على شعوبها وعلى الفلسطينيين الذين نفوا إلى بلاد تلك الحكومات ، بعض رد الفعل على سياسات إسرائيل العدوانية وأعمال التحرش المستمرة . بمعنى آخر ، كان الخطر العربى أسطورة اخترعتها إسرائيل لأسباب داخلية ، لديها وداخل الدول العربية ، ولم تستطع النظم العربية إنكارها ، تمامًا ، رغم أنها كانت ، على الدوام فى خوف من استعدادات إسرائيل لحرب جديدة .

٢ ـ كان هدف المؤسسة السياسية والعسكرية الإسرائيلية هو دفع الدول العربية إلى مواجهة عسكرية ، كان الزعماء الإسرائيليين على يقين بأنهم سينتصرون فيها . كان الهدف من تلك المواجهة هو تغيير توازن القوى فى المنطقة بشكل جذرى ، وتحويل الدولة الصهيونية إلى قوة كبرى فى الشرق الأوسط .

٣ ـ وحتى يمكن تحقيق تلك الأهداف الاستراتيجية ، استخدمت إسرائيل التكتيكات التالية :

( أ ) تستهدف العمليات العسكرية واسعة ومتوسطة النطاق المواطنين المدنيين عبر خطوط الهدنة ، خاصة فى الأراضى الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، والتى أصبحت بعد ذلك تابعة للأردن بالنسبة للأولى ومصر بالنسبة للثانية . لتلك العمليات سببان : إرهاب المواطنين ، وخلق حالة من عدم الاستقرار الدائم يصنع توترًا بين الحكومات العربية وشعوبها ، التى شعرت بأنها لا تتمتع بشكل ملائم بالحماية من الهجمات الإسرائيلية .

(ب) عمليات عسكرية ضد مواقع عسكرية عربية، عند مناطق الحدود من أجل إضعاف معنويات الجيوش، وتعميق عدم الاستقرار، الذى أصاب النظم من داخل كياناتهم العسكرية.

(جـ) عمليات إرهابية سرية فى عمق العالم العربى، استخدمت من أجل التجسس وخلق الخوف والتوتر وعدم استقرار.

٤ ـ من أجل تحقيق أهدافها الاستراتيجية، عليها استخدام الوسائل التالية:

( أ ) احتلال أراض جديدة بالحرب. برغم أن اتفاقية الهدنة لعامى ١٩٤٩ـ ١٩٥٠ خصصت لإسرائيل مساحة من الأراضى أكبر من المساحة التى خصصتها خطة التقسيم التى قدمتها الأمم المتحدة بالثلث، إلا أن الحكام الإسرائيليين لا يزالون غير راضين عن حجم الدولة، التى تعهدوا باحترام حدودها على المستوى الدولى. لقد سعوا إلى استعادة، على الأقل، حدود فلسطين المنتدبة. اعتبر قادة إسرائيل بأن مساحة أرضها عامل حيوى فى تحولها إلى قوة إقليمية.

(ب) جهود سياسية وعسكرية تهدف إلى تصفية كل مطالب العرب والفلسطينيين، وذلك من خلال تشتيت اللاجئين الفلسطينيين من حرب ١٩٤٧-٤٩ فى مناطق بعيدة فى العالم العربى، وكذلك خارج العالم العربى[١].

(جـ) عمليات تخريبية، تهدف إلى زعزعة العالم العربى، وهزيمة الحركة القومية العربية، وخلق نظم تابعة تنجذب إلى قوة إسرائيل الإقليمية.

يوجه توثيق شاريت النقاط السابقة فى يومياته ضربة قاتلة إلى عدد من التفسيرات المهمة التى لاتزال تقدم على إنها حقائق تاريخية. من بين تلك التفسيرات ما يلى:

١ ـ إلى اليوم، لازال غالبية الدارسين والمحللين يذكرون تأميم قناة السويس، كمبرر رئيسى لحرب ١٩٥٦، وهنا يكمن التلميح بأن الهجوم البريطانى والفرنسى على مصر قدم لإسرائيل فرصة لوضع حد لهجمات الفدائيين التى

كانت تنطلق عبر خطوط الهدنة، ولمحاسبة نظام عبد الناصر، الذى قاموا بتحميله مسئولية تلك الهجمات.

لكن ما يقوله لنا شاريت هو أن حربًا كبيرة ضد مصر تستهدف احتلال أراضى غزة وسيناء كانت على أجندة القيادات الإسرائيلية، على الأقل منذ خريف عام ١٩٥٣، أى نحو عام قبل قيام عبد الناصر بإخراج محمد نجيب من السلطة، ودعم زعامته (عبد الناصر). فى تلك الأثناء؛ اتفق الجميع على أن الظروف الدولية لشن مثل تلك الحرب سوف تنضج خلال ثلاث سنوات. واعتبر الهجوم العسكرى الإسرائيلى على غزة فى فبراير ١٩٥٥، كإعلان مسبق للحرب. وبعد شهرين؛ واجه قرار الحكومة ببدء الحرب لاحتلال قطاع غزة معارضة قوية من وزير الخارجية، الذى قرر مؤيدو سياسة الحرب، وعلى رأسهم بن جوريون، تصفيته، سياسيًا. وفى حالة ما إذا لم يظهر احتمال هجوم ثلاثى فى الأفق، فى الأشهر التالية، لكانت إسرائيل هاجمت مصر حسب خطتها الخاصة، بل بموافقة الولايات المتحدة.

٢ ـ احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة فى عام ١٩٦٧ بدا، ولا يزال هذا المفهوم سائدًا، على أنه عملية دفاعية إسرائيلية فى مواجهة التهديدات العربية. ولكن يوميات شاريت تقدم أدلة لا تقبل الشك على أن احتلال قطاع غزة وأيضا الضفة الغربية كان جزءا من خطط إسرائيل منذ بداية الخمسينيات. ولقد تم إبلاغ الزعامات الصهيونية الأمريكية بتلك الخطط، فى عام ١٩٥٤، وفى عام ١٩٥٥؛ تمت التضحية بحياة يهود وعرب فى سلسلة من الهجمات الاستفزازية، التى استغلت من أجل خلق مبرر لاحتلال الأراضى الأردنية. ولكن العائق الوحيد الذى أدى الى تأجيل عملية الاحتلال كان الوجود البريطانى القائم فى الأردن لحماية العرش الهاشمى.

٣ ـ لا تزال إسرائيل إلى الآن تبرر استمرار هجماتها العنيفة فى لبنان بما تسميه «أمنها». وبشكل خاص، حاول المتحدثون الرسميون الإسرائيليون، الذين تردد مقولاتهم الصحافة الغربية، شرح التدخل الشامل لإسرائيل فى لبنان والأحداث اللبنانية بشكل عام، باستخدام الذرائع التاريخية التالية:

( أ ) فى الصراع الدائر بين المسيحيين والمسلمين، وهو صراع كان سيتفجر حتى بدون تدخل خارجى، اقتصر دور إسرائيل على حماية الأقلية المسيحية.

(ب) وجود المقاومة الفلسطينية، أو كما تصفها إسرائيل، الإرهاب الفلسطينى فى تلك الدولة يتطلب تدخل إسرائيلى.

إلا أن يوميات شاريت تقدم الوثائق الكاملة حول كيفية قيام بن جوريون فى عام ١٩٥٤ بتطوير الخطط الجهنمية لـ «تحويل لبنان إلى المسيحية»، أو بمعنى آخر، اختراع وخلق من لا شىء، الصراع بين الطوائف اللبنانية، وحول كيف قامت إسرائيل بتطوير برنامج عملى مفصَّل لتقسيم وإخضاع هذه الدولة لإسرائيل منذ أكثر من ١٥ عاماً قبل أن يتحول الوجود الفلسطينى فى لبنان إلى عامل سياسى.

لخص الرجل الثانى فى الدولة الصهيونية، فى ذلك الوقت، استخدام الإرهاب والعدوان من أجل استفزاز أو تشكيل مظهر لتهديد عربى ضد الوجود الإسرائيلى:

«لقد ظللت أتأمل السلسلة الطويلة من الأحداث الزائفة والحروب التى اخترعناها، ومن كل تلك الإشتباكات التى حرضنا عليها، والتى كلفتنا الكثير من الدماء، ومن انتهاكات القانون التى قام بها رجالنا، والتى أدت كلها إلى كوارث خطيرة وحددت شكل مسيرة الأحداث كلها وأسهمت فى أزمة الأمن».

قبل ذلك بأسبوع، قام موسى ديان، رئيس الأركان، فى ذلك الوقت، بشرح الأسباب التى من أجلها كانت إسرائيل بحاجة إلى رفض أى تسويات أمنية للحدود تقدمها إما الدول العربية المجاورة، أو الأمم المتحدة، وأيضا الضمانات الرسمية للأمن التى اقترحتها الولايات المتحدة. وتوقع ديان بأن مثل تلك الضمانات، قد «تقيد يد إسرائيل». ومن المتوقع أن ذلك سيجعل من الصعب، أو من المستحيل، تبرير هذه الهجمات والغارات عبر خطوط وقف إطلاق النار التى تحولت خلال منتصف الخمسينات إلى تعبير ألطف وهو «عمليات انتقامية». عن تلك العمليات، قال ديان:

«إنها مادة حيوية بالنسبة لنا . فهى . . . تساعدنا على الحفاظ على توتر عال بين شعبنا والجيش . . . فمن أجل أن يذهب شبابنا إلى النقب، يجب أن نصيحً أنها فى خطر» . (٢٦ مايو ١٩٥٥، ٢ ١٠١ ١) .

لقد كان من المهم تشكيل عقلية تحت الحصار فى المجتمع الإسرائيلى من أجل تكملة الأسطورة المصطنعة مسبقا عن وجود تهديد عربى . كان من المقصود أن يغذى العنصران بعضهما البعض . ورغم أن المجتمع الإسرائيلى واجه خطر تفسخه اجتماعيًا وثقافيًا، تحت وطأة الهجرة الجماعية لليهود الآسيويين ومن شمال أفريقيا إلى المجتمع الذى كان منسجمًا عقائديًا قبل إقامة الدولة، لم يكن الهدف من عقلية الحصار الوصول إلى تماسك دفاعى فى المجتمع اليهودى، ولكنه كان أساسا، من أجل «استئصال الكوابح الأخلاقية»، وهى مسألة مطلوبة حتى يمكن للمجتمع أن يساند بالكامل النظام الذى مثل تحولاً كاملاً عن ميثاق الأخلاق الجماعى، الذى قام عليه تعليمه الرسمى، والذى من خلاله، كان من المفروض أن يستمد قوته الحيوية . بالطبع، هذا الميثاق الأخلاقى لم يحترم فى الماضى أيضا . لقد قام الصهاينة بممارسة الهجمات والإرهاب قبل وخلال حرب عام ١٩٤٧ ـ ٤٨، وفيما يلى شهادة جندى شارك فى احتلال قرية الدوليمة الفلسطينية، فى عام ١٩٤٨، وهى مجرد الشهادة الأخيرة التى تم الكشف عنها من بين سلسلة طويلة من الأدلة :

«قتلت ما بين ٨٠ إلى مئة عربى، من النساء والأطفال . لقتل الأطفال، كانوا يقومون بتحطيم رؤوسهم بالعصى . لم يكن هناك منزلاً واحدًا بلا جثث . تم دفع رجال ونساء القرى إلى المنازل بدون طعام ولا ماء . ثم جاء المخربون لكى يفجِّروا المنازل بالديناميت . أمر قائدنا أحد الجنود بإحضار امرأتين إلى المنزل الذى كان على وشك تفجيره . . . جندى آخر افتخر بأنه اغتصب امرأة عربية قبل إطلاق النار عليها وقتلها . أمر الجنود امرأة عربية أخرى معها جنينها، بتنظيف المكان لمدة يومين، وبعد ذلك أطلقوا النار عليها وعلى طفلها . القادة المتعلمون والذين يتصرفون بأخلاق، وكانوا يعتبرون «أفضل الرجال» . . . أصبحوا قتلة، وذلك

ليس خلال ضراوة المعارك، ولكن كمنهج طرد وإبادة. فكلما كان هناك عرب أقل، كلما كان ذلك أفضل». (نص فى «دافار»، ٩ يونيه ١٩٧٩).

لكن هذه الروايات لم تتسلل داخل المجتمع العام. بل بالعكس، لقد تم اعتبار حرب التحرير من الطقوس، انتصار معجزة للحق (اليهودى) ضد القوة (العرب). لقد وصفت المؤسسة الحاكمة من حزب العمل دير ياسين (وصف محرف) وكأنها قضية منفصلة، بل مدانة، نتاج قسوة جماعة إرجون الصغيرة. وقامت كل كتب المدارس والكتب التاريخية وكتب الآداب المختارة والإعلام بتمجيد، بشكل رقيق، الصفة الأخلاقية للحرب، «نقاء الأسلحة» التى استخدمها الجيش، الروح اليهودية التى تشكل أساس الدولة.

من هذا المنطلق، كان الأمن، أو السياسة الانتقامية فى الخمسينيات، نقلة نوعية. لقد كان الزعماء الإسرائيليون أنفسهم يعتبرون أن التصميمات الاستراتيجية، غير منطقية على الإطلاق، فيما يتعلق بالواقع الإقليمى، وخاصة فيما يتعلق بالظروف الدولية التى التزمت بها إسرائيل رسميًا. لذلك، فقد كان من الضرورى الحصول على المساندة الكاملة داخل البلاد، أى المساندة المعنوية، بل الغريزية، بدون اللجوء إلى العقلانية وبدون تغطية أخلاقية. إن الهدف الاستراتيجى، مثل تحويل إسرائيل الى قوة إقليمية، يفترض مسبقا وحتميًا، استخدام العنف المفتوح على نطاق واسع، ولا يمكن الزعم، حتى ولو أسطوريًا، أن ذلك يمكن أن يتحقق على أسس العقيدة الأولية للتفوق الأخلاقى، التى كان من الضرورى استبدالها بأخرى جديدة. الآن يجب تمجيد الإرهاب و«الانتقام» على أساس إنها القيم الجديدة «الأخلاقية... بل والمقدسة» للمجتمع الإسرائيلى. إن الفكر العسكرى الذى بعث من جديد لم يعد يحتاج إلى بريق مثالى واشتراكى لبايماش: الشعار العسكرى، الآن هو وحدة ١٠١، بقيادة آرييل شارون.

لم تحدث عملية التحول الثقافى، أكثر من التحول السياسى، بطريقة آلية. فى الواقع، كما أقر ديان فى الكلمات التى نشرناها مسبقا، كان لا بد من إثارة الكثير

من القلق لتشجيعها. كما كان لا بد من التضحية بأرواح يهودية من أجل خلق الاستفزاز لتبرير العمليات الانتقامية التالية، خاصة فى تلك الأوقات حينما نجحت الحكومات العربية فى السيطرة على ردود فعل سكان الحدود العرب الغاضبين الذين تعرضوا للاعتداء. ولقد تم توجيه دعاية يومية مستمرة، تحت سيطرة الرقابة، من أجل تغذية عقلية السكان الإسرائيليين بصور تعكس توحش العدو. وأظهرت صور أخرى أن التسويات الأمنية التى يتم التفاوض بشأنها مع العدو، يمكن أن تفسر على أنها دليل قاتل على ضعف الإسرائيليين.

كانت النقطة الأخيرة فى تلك العملية، والتى تابعها شاريت فى الخمسينات، هى انتخاب مناحم بيجين رئيسا للوزراء فى عام ١٩٧٧. لقد كانت رؤية شاريت الصهيونية على أنها بديل سياسى/ ديبلوماسى لاستراتيجية الإرهاب العسكرية، التى وضعها بن جوريون وتابعوه. ولقد فكر أن ذلك من شأنه أن يقوى تأسيس الدولة اليهودية فى فلسطين، وربما يؤدى إلى توسيعها فى المستقبل، بدون تقديم تنازلات مهمة إلى العالم العربى المحيط بها. وكان شاريت على قناعة بأن أهدافه يمكن أن تتحقق بدون إثارة قلق الغرب. وبالفعل، كان يرى إمكانية تنسيق الخطط الإسرائيلية مع الغرب. لقد رأى، بشكل واضح، المنطق وراء عقيدة الأمن الإسرائيلية بأنها فاشستية، وقام بتقديم تقييم حقيقى لعواقبها، من الفساد الأخلاقى، على المستوى الداخلى، وتزايد العنف على المستوى الإقليمى. ولقد عارضها، وكان بلا شك أحد أهم ضحاياها. فقد كانت هزيمته مسألة لا يمكن تجنبها، لأن انشقاقه عن الاستراتيجية كان فى الكم، أكثر مما كان فى النوعية: لقد تم على أساس الوسائل أكثر من الجوهر؛ على أساس، على سبيل المثال، عدد ضحايا عملية عسكرية محددة. ولكن انشقاقه مبهم فى مسألة العقيدة التى تقف وراء مثل تلك العمليات. ولكن فى ضوء إيمانه القاطع بالصهيونية، كان شاريت مبهوراً، بنفس درجة نفوره من الاستراتيجية، وكان غيورا على نجاحها الفورى بدرجة قلقة لنا على عواقبها على المدى الطويل وردود فعلها دوليّا على الصهيونية وإسرائيل.

اعتبر تصفية وجوده المعارض مسألة ضرورية من أجل تحقيق مخطط الزعامة الإسرائيلية السياسية والعسكرية الإجرامية والمصابة بجنون العظمة. نتج ضعفه الداخلى من أمله العقلانى فى أن يمنع الغرب، الذى يطلق على نفسه «الليبرالى»، تطبيق مخططات خصومه [من قادة إسرائيل]. لقد اعتمد على الغرب بدلا من صحوة ضمير محلية وشعبية، والتى كان يملك السلطة والمعلومات لأن يثيرها، ولكن كونه صهيونيا، لم يستطع، ولم يجرؤ على ذلك.

على العكس، فبرغم قلقه وعذابه، انتهى به الأمر، بشكل أو بآخر، إلى التعاون مع خصومه، ومع تلك العناصر فى المؤسسة الأمنية التى تآمرت ضده، فى تصنيع ونشر صيغ مشوهة ومقصودة للأحداث والسياسات، للاستهلاك المحلى والدولى.

من المنظور التاريخى، فإن الصورة التى رسمها شاريت لنفسه، كما تظهر من يومياته الخاصة، تفسر لماذا لم يكن ممكنًا أبدًا ظهور صهيونية، يمكن أن نصفها بأنها معتدلة، وكيف تنتهى دائمًا بالفشل، كما كان الحال دائما، كل محاولة لتحرير الصهيونية من الداخل. هناك منطق واضح ومتناسق، يتدفق عبر تاريخ الحقب الثلاثة الماضية. فى بداية الخمسينيات، وضعت الأسس من أجل بناء دولة تشربت بمبادئ الإرهاب المقدس ضد المجتمعات العربية التى تحيط بها، وعلى مشارف الثمانينيات، الدولة نفسها أدانها مثقفوها لأول مرة واتهموها بأنها وقعت فى قبضة صارمة وقاتلة للفاشية.

قد يكون ذلك سببا آخر، قد يجعل الصحفيين، والدارسين، والمحللين الغربيين محرجين أمام الوثيقة التالية. هؤلاء المعلقون لا يزالون مصرين على رفع الالتزام الأخلاقى المزعوم للغرب لتأييد ذلك الذى لا يزالون يعملون على تصويره بأنه أمن إسرائيل. فى هذا المعنى، تعتبر يوميات شاريت مدمرة للدعاية الصهيونية، كما كانت أوراق البنتاجون، فيما يخص الهجوم الأمريكى على فيتنام.

# الفصل الأول

## موسى شاريت ويومياته

موسى شاريت (شرتوك) ولد فى هارسون، (روسيا) عام ١٨٩٤ . هاجر فى عام ١٩٠٦ مع عائلته إلى فلسطين، وهو فى سن الثانية عشرة، فقد كان والده ناشط صهيونيًا متحمسًا. استقرت العائلة فى القرية العربية عين سينيا، بالقرب من نابلس. وصَف موسى وشقيقه وشقيقاته الثلاث، فيما بعد، العامين اللذين درسا فيهما العربية ولعبوا فيهما مع أطفال من القرية وتعلموا قصصًا مثيرة من عجائز القرية بأنها كانت أسعد فترة فى حياتهم.

فى عام ١٩٠٨ ، انتقلت عائلة شرتوك إلى تل أبيب، حيث التحق موسى بمدرسة هيرتسيليا الثانوية. مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، جند موسى فى الجيش العثمانى، حيث درس ليكون ضابطًا، ثم خدم بعد ذلك ضابطًا فى سوريا، معظم الوقت. بعد الحرب، وبينما استقر الانتداب البريطانى فى فلسطين، تخرج شاريت من مدرسة لندن للاقتصاد، وبعد ذلك بفترة وجيزة،

بدأ النشاط السياسى فى صفوف الصهيونية العمالية. كان شاريت عضواً مؤسساً فى حزب ماباى (حزب عمال إيريتز [أرض] إسرائيل)، وأصبح رئيس تحرير دافار، الجريدة اليومية التابعة للهستادروت (اتحاد نقابة العمال الذى يقع تحت سيطرة ماباى). عين شاريت فيما بعد نائبًا لحاييم آرلوسوروف، رئيس القسم السياسى للوكالة اليهودية. بعد، اغتيال آرلوسوروف على أحد شواطئ تل أبيب فى عام ١٩٣٣، عين شاريت خليفة له. كان بن جوريون فى ذلك الوقت رئيس «الوكالة اليهودية». وحسب شاريت، فإن الصراع مع بن جوريون، الذى كان السمة الرئيسية بينهما خلال ٢٥ عامًا من التعاون، على قمة الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل، نشأ من شكوك بن جوريون فى ولاء شاريت لحاييم وايزمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية. فى الأربعينيات، اتهم بن جوريون شاريت، الذى أكد أن الاتهام عار من الصحة، بالتعاون مع وايزمان من أجل التفاوض، مع وساطة الولايات المتحدة، على اتفاق بين الحركة الصهيونية والأمير فيصل، وادعى شاريت أنه فى الحقيقة، أسهم فى إفشال تلك المفاوضات. ولكن حسب الدكتور نحوم جولدمان، تورط شاريت مرة أخرى فى عامى ١٩٤٧-٤٨، مع جولدمان فى مفاوضات، توسط فيها وزير الخارجية الأمريكية جورج مارشال، استهدفت التوصل إلى حل سياسى لمشكلة الوجود الصهيونى فى فلسطين، وربما أيضًا، تؤدى إلى إقامة كونفدرالية شرق أوسطية تضم كيانًا صهيونيًا. كان من المفترض أن يكون وزير خارجية مصر، النقراشى باشا، هو المفاوض الرئيسى فى الجانب العربى. هذه المفاوضات التى كان من المتوقع أن تمنع اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، كانت ستعنى تأجيل الموعد الذى تحدد من أجل إعلان دولة إسرائيل لعدة أسابيع. اعترض بن جوريون على المفاوضات، ورفض التأجيل، واتهم شاريت بأنه يعارض قيام الدولة، وهو اتهام أنكره بشدة. ولكن جوهريا، كان تفضيل بن جوريون لاستخدام القوة، وبالعكس، تفضيل شاريت لاستخدام الوسائل الدبلوماسية لتحقيق نفس الأهداف، كان هو أساس الصراع بين الزعيمين الصهيونيين، وهو الصراع الذى دام إلى طرد

شاريت من الحكومة الإسرائيلية فى يونيه عام ١٩٥٦ . مات موسى شاريت فى تل أبيب عام ١٩٦٥ . ولقد غطت يومياته الخاصة، والتى كتبها من أكتوبر ١٩٥٣ إلى نوفمبر ١٩٥٦، السنوات الأخيرة لحياته السياسية، كأول وزير خارجية، بما فيها العامين الذين خلف فيهما بن جوريون كرئيس وزراء. ثم تمتد اليوميات إلى الخمسة عشر شهراً الأولى التى كان يعانى فيها من توقف نشاطه بعد موته السياسى.

توقف موسى شاريت عن كتابة يومياته فى منتصف جملة فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٥٧ . ولقد حدد فى ملاحظاته الأخيرة شخصًا كان يعمل معه فى السابق، واعتبره صديقًا مقربًا منه على المستويين الخاص والسياسى، إلا أنه كشف أنه كان أحد المتآمرين ضده. اليوميات التى تقع فى ٢٤٠٠ صفحة فى ثمانى مجلدات، تضم الملاحظات اليومية والمفكرات التى قام شاريت فيها بتسجيل الأحداث الجارية: الشخصية والعائلية والأحداث الحزبية، وكذلك الاجتماعات المحلية والدولية ذات الأهمية الخاصة، والمحادثات مع زوجته أو أعضاء آخرين فى عائلته، بالإضافة إلى مسائل إدارية تخص وزارته، وتعليقه على اجتماعات الوزارة. تمثل طبيعة اليوميات الخاصة، بالإضافة إلى المكانة الرسمية المتميزة لكاتبها، تمثلان ضمانًا نادراً للمصداقية. فعلى عكس مذكرات أخرى خرجت من إسرائيل فى السنوات الأخيرة، والتى كتبت من أجل أن تنشر، من الصعب الشك فى تحريفه يوميات شاريت أو التركيز فيها على تمجيد شخصى أو نوايا شخصية للجدل العنيف. لذا فإنه ليس عجيبًا أن يتعرض ابن شاريت وعائلته لضغوط هائلة من أجل الامتناع عن نشرها، أو على الأقل من أجل تسليم الوثيقة إلى الرقابة فى حزب العمل. ولكن ياكوف، ابن شاريت، قرر أخيراً أن ينشر العمل بأكمله.

* * *

# الفصل الثانى

## بن جـــوريون يذهــب إلى سـديه بوكير:

## « منتجع روحانى، وذلك على سبيل التمويه»

خط موسى شاريت أولى ملاحظاته فى يومياته الشخصية فى ٩ أكتوبر عام ١٩٥٣ . قبل ذلك بوقت قصير أعلن بن جوريون، الذى كان رئيس وزراء إسرائيل ووزير دفاعها، نيته الانسحاب من أنشطة الحكومة. شاريت، الذى كان ثانى شخصية بعد بن جوريون منذ الأيام التى سبقت إعلان الدولة، اختير ليحل محله كرئيس وزراء إسرائيل. كما سيتولى منصب وزير الخارجية.

بالنسبة للرأى العام، تم تقديم نية بن جوريون للتقاعد بأسلوب رفيع على أنها تدريب روحانى، وهو مقياس قادر على إثارة الحماس لدى الشباب الإسرائيلى واليهودى، وضرورى من أجل إعادة الخراف الصهيونية إلى القيم التى تخلى عنها، قيم مثل الريادة والاستيطان. فى الواقع، وبينما كانت الدولة تنفق الملايين من الجنيهات لبناء «منزل صيفى» لبن جوريون فى كيبوتز سديه بوكير فى النقب،

ولتنظيم المسائل الأمنية والاتصالات، كان الرجل العجوز يعرف بالفعل، وأخبر معاونيه، أن غيابه من الحكومة سوف يدوم لمدة عامين. كان وراء الحملة التى أعطت انسحابه مسحة مثالية، سيناريو قام هو ورجاله بإعداده بدقة متناهية. فى ذلك الوقت، بعد أربع سنوات من حرب عامى ١٩٤٨-١٩٤٩، كانت المؤسسة الأمنية قد أعدت خططًا للتوسع الإسرائيلى. خطوط الهدنة التى وضعت فى رودس، وبرغم أنها تحددت بحيث تمنح إسرائيل أكثر من ثلث الأراضى التى منحها إياها قرار التقسيم بالأمم المتحدة عام ١٩٤٧، اعتبرها الجيش غير مرضية، فقد كان يأمل فى استعادة، على الأقل، حدود فلسطين تحت الانتداب. كان بن جوريون قد وضع بالفعل النظرية حول ضرورة أن تصبح إسرائيل قوة إقليمية فى الشرق الأوسط. لتحقيق هذا الهدف، تم أيضًا وضع استراتيجية تهدف إلى زعزعة استقرار المنطقة: من الناحية التطبيقية، كما سنرى، أهم نقطة لها خلال الربع قرن التالى، ستكون وضع سياسة سياسية/ عسكرية عرفت تحت الاسم المضلل «الانتقام». ولكن الظروف الدولية التى يمكن أن تعمل على تطبيق هذا التصميم الاستراتيجى، كان لا بد من ترتيبها.

لقد كانت المساعدات الاقتصادية والعسكرية من الغرب بشكل خاص، ضرورة أساسية. وفى الوقت نفسه، كان يجب منع التقارب بين الغرب والعالم العربى. لتحقيق هذا الهدف، كان لا بد أن يقتنع الغرب بأن إسرائيل هى أفضل رهان عسكرى له فى المنطقة، وذلك كان هدفًا أساسيًّا آخر؛ من أجله وقعت الهجمات الواسعة التى شنها الجيش الإسرائيلى عبر الحدود. وفى الوقت نفسه، كان لا بد أيضًا، ألا يشعر الغرب مسبقًا بالقلق من نوايا إسرائيل، لأن الغرب ليس معدًا بعد لمساندة أهداف إسرائيل. أما انسحاب بن جوريون الرسمى، وحلول شاريت «المعتدل» محله، فقد فسر من جانب الدبلوماسية الدولية على أنه علامة على أن إسرائيل لا تتجه إلى الحرب. منذ إطلاق العمليات الانتقامية، تصاعد هذا الخوف فى العالم العربى.

على المدى القصير ، كان هدف الخطط الإسرائيلية هو إبطاء المفاوضات بين الدول العربية ، التى كانت تسعى بسرعة لأن تحصل على السلاح ، والغرب ، الذى كان متردداً فى تسليحها . فى غضون ذلك الوقت ، لم تكن فكرة توجيه العمليات العسكرية إلى أى سبب آخر غير السبب المعلن عنه ـ وهو حماية المدنيين الإسرائيليين ضد الهجمات التى اتسمت بالشكل الإرهابى من الأراضى العربية ـ لا بد أن تحصل على المصداقية تحت ولاية شاريت كرئيس وزراء ، لأنه كان شخصًا عرفه الجميع بأنه كرَّس نفسه من أجل الاعتدال والديبلوماسية . إن أسطورة أمن إسرائيل ، التى كان هدفها حشد إجماع عام ، سوف تدعم بشكل واسع عند غياب بن جوريون . وهكذا توجه إلى سديه بوكير ، ترافقه هالة القديس الرائد ، أما شاريت ، فكان على استعداد ليحل محله ، أو هكذا تصور . فى الواقع ، كان على بن جوريون البقاء مسيطراً على كل قنوات القيادة .



# الفصل الثالـث

## الانتقام من أجل الحرب

فى ١١ اكتوبر عام ١٩٥٣ ، كتب وزير الخارجية ، ورئيس الوزراء القادم ، فى يومياته إنه ذهب لمقابلة بن زفى ، رئيس الدولة :

**أثار بن زفى ، كـالعادة ، قـضـايا ملهـمـة . . . مثل إن كـان لدينا الفـرصة لاحـتلال سـيناء؟ وكم سـيكون الوضـع رائعًا إن بـدأ المصـريـون هجـومًـا نستطيع أن نهزمه ويتلوه غزو هذه الصحـراء! . ولقـد أبدى خيـبة أمل عندما أبلغته أن لا يبدو أن المصريين سوف يسهلون علينا مهـمة الاحتلال من خلال تحدى مستفز من جانبهم . (١١ أكتوبر ١٩٥٣ ، ٢٧) .**

فى اليـوم التـالى ، أبلغ بن جـوريون شـاريت أن بنحـاس لافـون ، وهـو أحـد المؤيدين المتشددين لسياسة الانتقام ، سوف يحل محله كـوزير دفاع ، وأنه على وشك تعيين موسى ديان رئيسا للأركان .

**«فى الحـال قلت إن مـوسى ديان هو جندى فـقط فى زمن الحـرب فحسب، ولكن، فى زمن السلام فهو رجل سياسة. والتعيين يعنى (تسييس) مقر القيادة. إن القدرات الفائقة للقائد الأعلى الجديد فى ونسج المؤامرات والمكائد سوف يطرح العديد من التعقيدات. ولقد سلم بن جوريون بحقيقة تلك التفسيرات، بل وأضاف بأن ديان نفسه وصف نفسه بتلك الطريقة، وسعى لان يجرد نفسه من أهلية المهمة، ولكن لا بأس، سيكون على مايرام. لقد غادرت المكان وقلبى حزين. (٢٩ أكتوبر ١٩٥٣).**

اعتبر شاريت المناخ الدولى فى ذلك الوقت غير موات لإسرائيل: فقد قررت الولايات المتحدة لتوها إمداد سوريا والعراق بالسلاح، وتسليح مصر بعد فترة وجيزة من توقيع اتفاقية منطقة القناة. وذلك فضلاً عن أن انتهاكات إسرائيل المستمرة لمطالب الأمم المتحدة بوقف تحويل مياه نهر الأردن والالتزام بخطة جونسون، كانت تتسبب فى تزايد مخاوف العواصم الغربية. فقد غذى الغرب الأمل فى أن الاتفاق الإسرائيلى العربى حول تحويل مياه نهر الأردن، إن تم التوصل إليه وتطبيق الاتفاق، سيصبح حجر الزاوية لاتفاق أوسع يمكنه القضاء على التوتر المعادى للغرب المتزايد فى المنطقة[٢] . حسب قائد المراقبين التابع للأمم المتحدة، الجنرال الدنمركى فاجين بينيك، «يعمل الإسرائيليون، ولا يزالون يعملون فى الأراضى العربية. نحن [الإسرائيليين] نعمل على تغيير الوضع استراتيجيًّا». (١٥ أكتوبر ١٩٥٥، ٣٩) ويعلق شاريت بقوله إن هذا عمل مخجل:

**«لقد قمت عدة مرات بالتحقيق، وكل مرة كانوا يؤكدون لى بوضوح أنه لم يتم لمس أى من الأراضى العربية. بعد أن أخبرنى بينيك. . . أنه ثبت له أن عملنا بدأ على أرض عربية. . . قمت مرة أخرى بمساءلة أمير [رئيس قسم الأعمال المائية] الذى أقر الآن بالحقيقة. . . وهكذا جعلونى أبدو كاذبًا أمام العالم أجمع!» (٣١ أكتوبر ١٩٥٥، ٣٢)**

خوفا من أن تثير المبالغة فى العنف الإسرائيلى فى تلك الفترة، أزمة مع الغرب، حاول شاريت وقف العملية الانتقامية فى قبية، والتى صدق عليها بن جوريون عشية توجهه إلى العطلة، قبل اعتزاله الرسمى. وأشار إلى أن الحادث الصغير الذى وقع عند الحدود، والذى كان سوف يتخذ كذريعة للتخطيط لهجوم على قرية الضفة الغربية، أدانته الأردن علانية، وأن ممثلى الأردن فى لجنة الهدنة المشتركة وعدوا بأن يعملوا على ألا تتكرر مثل تلك الحوادث.

**قلت للافون «إن هذا [الهجوم] سيكون خطأ خطيرًا»، وذكرته، بالإشارة إلى أحداث سابقة مختلفة، بأن الأعمال الانتقامية لم تثبت أبدًا «أنها تحقق الهدف الذى شنت من أجله». ابتسم لافون. . وتمسك بفكرته. . قال: « إن بن جوريون لا يشاركنى الرأى». (١٤ أكتوبر ١٩٥٣، ٣٧)**

**«وفق الأنباء الأولى من الجانب الآخر، تم تدمير ٣٠ منزلاً فى قرية واحدة. هذا العمل الانتقامى لم يسبق له مثيل فى حجمه وفى قوة الهجوم المستخدمة. ظللت أسير فى حجرتى ذهابًا وإيابًا وأنا بلا حول ولا قوة، أشعر بكآبة كاملة بسبب عجزى. . . لقد كنت مرعوبًا من التفاصيل التى استمعت إليها فى إذاعة رام الله عن تدمير القرية العربية ـ عشرات المنازل دكت وسويت بالأرض، وعشرات الأفراد قتلوا. يمكننى أن أتخيل العاصفة التى سوف تهب غدًا فى العواصم العربية والغربية». (١٥ أكتوبر ١٩٥٣، ٣٩)**

**«يجب أن أؤكد هنا أننى، عندما اعترضت على العملية لم أكن أشك، ولو من بعيد، فى وقوع حمام الدم هذا. كنت أظن أننى أعترض على إحدى تلك العمليات التى أصبحت روتينًا فى الماضى. ولو كنت شككت، حتى من بعيد، فى وقوع مثل هذه المجزرة، لكنت أقمت الدنيا وأقعدتها». (١٦ أكتوبر ١٩٥٣، ٤٤)**

«والآن يريد الجيش أن يعرف، كيف سنقوم نحن [وزارة الخارجية] بتعليل القضية. وفى لقاء مشترك ضم مسئولين من الجيش ووزارة الخارجية، اقترح صموئيل بندور أن نقول إن الجيش ليس له صلة بالعملية، ولكن سكان القرى المجاورة، هم الذين قاموا بالعملية بأنفسهم لأنهم كانوا مدفوعين بغضبهم بسبب أحداث سابقة ويسعون للانتقام. مثل تلك الصيغة سوف تظهرنا بمظهر ساخر: أى طفل سيقول إن تلك العملية هى عملية عسكرية». (١٦ أكتوبر ١٩٥٣)

«قام يهوشافاط هاركابى [مساعد رئيس المخابرات العسكرية فى ذلك الوقت] بالإبلاغ عن تحركات للقوات الأردنية من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية فى اتجاهين. . . من منطقة أربد إلى نابلس، ومن عمان إلى القدس. تصورت أن تلك التحركات لم تكن تشير إلى استعدادات للهجوم، ولكنها كانت مجرد استعدادات لاعتداء من جانبنا. كان من المستحيل ألا يتصوروا أن قصف قبية، إن لم يكن يعنى خطة محسوبة تهدف إلى شن الحرب، فعلى الأقل يعنى الرغبة فى بدء حرب كنتيجة للعملية. قال «فاتى» إن وفقا لما جاء فى إذاعة رام الله، تم انتشال ٥٦ جثة من تحت الانقاض». (١٧ أكتوبر ١٩٥٣، ٤٤ ـ ٤٥)

«فى الساعة الثالثة بعد الظهر، جاء كل من راسل (القائم بالأعمال الأمريكى) وميلتون فرايد (المستشار الأمريكى). . . كان وجه راسل عابسًا. كانت قبية (فى الأجواء). . . قلت إننى لن أقول أى شىء لتبرير الهجوم على قبية، ولكن يجب أن أحذر من استخراج تلك العملية من سلسلة الأحداث، ووجهت اللوم إلى الوضع المنفلت، وإلى عجز الأردن أو افتقارها للشعور الودى من جانبها. من تلك

النقطة، بدأت أهاجم السياسة الأمريكية كأحد العوامل التى أسهمت فى تشجيع العرب وعزل إسرائيل . . . ونددت بخطأ الفكرة (الأمريكية) بأننا نريد الحرب، وأن كل أفعالنا فى الجنوب وفى الشمال موجهة، حصريًا، من أجل إثارة الحرب . . . سأل راسل . . إن كنا سندين قبية. قلت إننى لن أستطيع أن أجيب . . . كاتريل (سالمون) [الملحق العسكرى الإسرائيلى فى لندن] تقدم بفكرة (تضليل): عملية قبية سوف تجذب كل انتباه العالم، إلا إذا اخترعنا عملية أخرى مثيرة». (١٧ أكتوبر ١٩٥٣، ٤٥)

«[فى اجتماع الحكومة] نددت بعملية قبية التى كشفتنا أمام العالم كله كعصابة من مصاصى الدماء، قادرة على ارتكاب مذابح على نطاق واسع بغض النظر، فيما يبدو، عن إن كانت تلك الأفعال ستقودنا إلى الحرب. وحذرت من أن تلك البقعة سوف تلصق بنا ولن يمكننا تنظيفها لسنوات طويلة مقبلة . . . وتم اتخاذ قرار بإصدار بيان عن قبية، وأن بن جوريون [الذى عاد من عطلته بهذه المناسبة] هو الذى سيكتب البيان. ولقد أصررت على أن ينطوى البيان على تعبير الأسف. أصر بن جوريون على استبعاد أى مسئولية على الجيش (انظر ملحق رقم ١): قرر السكان المدنيون فى منطقة الحدود، والذين اشتعل غضبهم بسبب عمليات القتل المتكررة، أخذ العدالة بأيديهم. ففى النهاية [قال] المستوطنات عند الحدود تغص بالسلاح والمستوطنون كانوا جنودًا . . . قلت إن لا أحد فى العالم سيصدق مثل تلك القصة، ونحن سنكشف كذبنا. ولكننى لم أستطع أن أطلب جديًا أن يؤكد البيان بشكل واضح مسئولية الجيش لأن ذلك كان سيجعل من المستحيل إدانة الفعل، وفى النهاية سوف نضطر إلى تأييد هذه المجزرة البشعة». (١٨ اكتوبر ١٩٥٣، ٥١)[٣]

بالنسبة لشاريت أيضًا، لم يكن من الممكن المساس بالجيش ولكن، لماذا يجب لوم الجيش بينما القرار اتخذ على المستوى السياسى؟ وبالرغم من ذلك، ظهرت تفصيلة ذات معنى. من الواضح أن أمن سكان الحدود الإسرائيلية كان سيتعرض للخطر الشديد إن عزا إليهم مسئولية حمام الدم، مثل ذلك الذى وقع فى قبية. كان هناك نية استفزازية فى تشجيع تصاعد عمليات الانتقام والانتقام المضاد، مثلما كان لابتسامة لافون، عندما حاول شاريت إقناعه بحماقة العلاقات فيما يخص أهدافهم المعلنة. وفى الحقيقة، كانت السياسة الانتقامية متجهة، من البداية، إلى ناحية أخرى: فكلما تزايد التوتر فى المنطقة، كلما أدى ذلك إلى إحباط الشعوب العربية، وزعزعة استقرار النظم العربية، وكلما زادت الضغوط من أجل ترحيل معسكرات اللاجئين الفلسطينيين من المناطق القريبة من الحدود، إلى داخل العالم العربى ـ كلما كان ذلك أفضل من أجل الإعداد للحرب التالية. فى غضون هذا الوقت، يمكن الاستمرار فى تدريب الجيش. فى ١٩ أكتوبر عقدت الحكومة اجتماعا، حيث:

**«تحدث بن جوريون لمدة ساعتين ونصف الساعة عن استعدادات الجيش من أجل الدورة الثانية. . . قدم أرقامًا مفصلة عن نمو القوة العسكرية فى الدول العربية، والتى (قال) إنها سوف تصل إلى ذروتها فى عام ١٩٥٦». (١٩ أكتوبر ١٩٥٣، ٥٤).**

لم يكن ذلك مجرد تنبوء بالمستقبل. فقد كان ذلك يعنى أن إسرائيل سوف تشن حربًا خلال تلك الفترة. أضاف شاريت قائلاً:

**«بينما كنت استمع. . . فكرت. . . إن علينا مواجهة الخطر بوسائل غير عسكرية: اقترح حلولاً جريئة ومحددة لمشكلة اللاجئين عبر دفع تعويضات، وتحسين علاقتنا مع القوى [العالمية]، والسعى بشكل حثيث للوصول إلى تفاهم مع مصر».**

ذلك، بلا شك، لم يكن ما تسعى إليه المؤسسة الأمنية الإسرائيلية. فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٣، قدم الكولونيل ماتى بيليد محاضرة فى إسرائيل، أمام مجموعة

من الزعماء الصهاينة الأمريكيين. وكتب شاريت أن النتيجة التى تم استخلاصها من تلك المحاضرة كانت «واضحة بشكل خفى»:

**«أولاً، يعتبر الجيش أن الحدود الحالية مع الأردن غير مقبولة على الإطلاق. ثانيًا، يعد الجيش لحرب من أجل احتلال سائر أراضى إسرائيل الغربية». (٤) (٢٦ أكتوبر ١٩٥٣، ٨١)**

وبرغم صياغته بكلمات غاية فى اللطف، فإن الإدانة التى صدرت عن مجلس الأمن ضد إسرائيل بسبب الهجوم على قبية دفعت شاريت إلى أن يفرض حظرًا على العمليات الانتقامية إلا بتصريح خاص منه. وتوقفت العمليات الكبرى لفترة من الوقت، ولكن عمليات التغلغل الإسرائيلية البسيطة وغير المصرح بها، استمرت داخل الضفة الغربية وغزة، فى وقوع المزيد من الضحايا المدنيين. وعلى سبيل المثال، أدت عملية قتل طبيب أردنى على طريق بيت لحم - أريحا، والذى نشرته الصحف، إلى إثارة شكوك رئيس الوزراء. وعندما علم أن تلك العمليات هى عمليات إسرائيلية ازداد غضبه. ولقد كان لذلك، ولتحقيقات مماثلة أخرى، سببًا فى برودة العلاقات بين المؤسسة العسكرية ورئيس الوزراء. فى يناير عام ١٩٥٤، طلب ديان، وحصل على اجتماع مع كل وزراء ماباى:

**«قدم موسى ديان خطة بعد خطة للقيام بـ (عملية مباشرة). كانت أولاها ما يجب القيام به من أجل كسر الحصار على مضيق إيلات بالقوة. كان يجب إرسال سفينة تحمل العلم الإسرائيلى، وإن قام المصريون بقصفها بالمدافع، فسوف تقصف الطائرات الإسرائيلية الموقع المصرى من الجو، أو [علينا] أن نغزو رأس النقب، أو نفتح الطريق من الجنوب إلى قطاع غزة، وشمالاً إلى الساحل. كان هناك صخب كبير. وسألته، هل تدرك أن ذلك يعنى الحرب مع مصر؟ رد، بالطبع». (٣١ يناير ١٩٥٤، ٣٣١).**

ظلت دائمًا الحرب مع مصر الطموح الأكبر للمؤسسة الأمنية الإسرائيلية، ولكن الوقت لم يكن مواتيًا. فى ٢٥ فبراير، قام بن جوريون بنفسه بكبح نفاد صبر معاونيه عندما رفض اقتراح لافون بـ (البدء فورًا فى خطة فصل قطاع غزة عن مصر). كان الرجل العجوز مصرًا على الالتزام بجدوله الزمنى. والآن، كتب شاريت فيما بعد يقول، «اقترح بن جوريون التركيز على التحرك ضد سوريا». (٢٧ فبراير ١٩٥٤، ٣٧٧).

* * *

# الفصل الرابع

## فرصة تاريخية لاحتلال جنوب سوريا

فى الاجتماع المذكور عاليا فى ٣١ يناير ١٩٥٤ ، قام موسى ديان بتقديم الخطوط العريضة لخطط الحرب التى وضعها . وتقول النقاط التى كتبها شاريت فى ذلك اليوم :

**«خطة التحرك الثانية ضد تدخل السوريين ضد قيامنا بالصيد فى بحيرة طبرية . . . (إذًا ـ لثالث مرة)، بما أن هناك مشاكل داخلية فى سوريا ، تعتدى العراق على هذه الدولة ونحن علينا التقدم [عسكريًا إلى داخل سوريا]، وتحقيق سلسلة من (الأمر الواقع) . . . النهاية الطريفة التى يمكن أن نستخرجها من كل هذا تتعلق بالاتجاه الذى يفكر به قائد القوات العسكرية . إننى قلق للغاية» . (٣١ يناير ١٩٥٤ ، ٣٣٢)**

فى ٢٥ فبراير ١٩٥٤، تمردت القوات السورية فى حلب على نظام أديب الشيشكلى.

**«بعد الغذاء، انتحى بى لافون جانبًا وبدأ محاولات إقناعى: هذا هو الوقت المناسب للتحرك، هذا هو وقت التحرك إلى الأمام واحتلال المواقع عند الحدود السورية التى تقع عبر المنطقة المنزوعة السلاح. سوريا تتفكك. الدولة التى وقعنا معها اتفاقية الهدنة لم تعد موجودة. حكومتها على وشك السقوط وليس هناك قوة أخرى فى الأفق. بالإضافة إلى ذلك، العراق تحرك بالفعل إلى سوريا. هذه فرصة تاريخية، يجب ألا تضيع منا.**

**« ترددت كثيرًا فى الموافقة على هذه الخطة السريعة، ورأيت أننا سنكون على حافة هوة سحيقة من مغامرة كارثية. وسألت إن كان قد طلب منى أن نتحرك فورًا، وصدمت عندما أدركت أنه فعل ذلك. وقلت إن كان العراق سيتحرك بالفعل إلى داخل سوريا بجيشه، فإن ذلك سيكون تحول ثورى من شأنه... أن يبرر نتائج صعب الحصول عليها، ولكن فى الوقت الحالى ذلك يعنى خطرًا فحسب، وليس واقعًا. إنه حتى ليس واضحًا إن كان الشيشكلى سيسقط: قد يستمر فى السلطة. يجب علينا أن ننتظر قبل اتخاذ أى قرار. وكرر أن الوقت قيم وعلينا أن نتحرك حتى لا نفوت فرصة قد تضيع إلى الأبد، إن لم نتحرك. ومرة أخرى أجبت بأنه حسب الظروف الحالية لا أستطيع أن أوافق على مثل هذا التحرك. وأخيرًا قلت سنلتقى يوم السبت المقبل مع بن جوريون... ويمكن أن نستشيره حول تلك المسألة. رأيت أنه كان مستاء للغاية بسبب التأخير. إلا أنه لم يكن يملك إلا أن يوافق». (٢٥ فبراير ١٩٥٤، ٣٧٤)**

في اليوم التالى سقط نظام الشيشكلى بالفعل. وفى اليوم الذى تلاه، ٢٧ فبراير، كان شاريت حاضراً فى اجتماع حيث قدم كل من لافون وديان تقريراً إلى بن جوريون أكد أن الأحداث فى سوريا كانت ـ «عملية عراقية صرفة». واقترح الاثنان مرة أخرى وضع الجيش الإسرائيلى على الطريق. وافق بن جوريون، بعد أن أثاره التقرير بشدة. وقام شاريت مرة أخرى بالاعتراض، مشيراً إلى حتمية تنديد مجلس الأمن، وإمكانية استخدام (الإعلان الثلاثى) لعام ١٩٥٠ ضد إسرائيل، وهو ما يمكن أن يؤدى إلى «فشل يجلب العار». واعترض الثلاثة على أن «دخولنا [سوريا] سيكون مبرراً فى ضوء الوضع فى سوريا. إنه عمل دفاعى على منطقة حدودنا». وأنهى شاريت المناقشة بالإصرار على احتياجنا بحث المسألة مرة أخرى فى اجتماع وزارى، تحدد موعده فى صباح اليوم التالى.

«كسا وجه لافون تعبير من الكآبة. لقد فهم أن ذلك هو نهاية الموضوع». (٢٧ فبراير ١٩٥٤، ٣٧٧)

فى يوم الأحد ٢٨ فبراير؛ نشرت الصحف أن القوات العراقية لم تدخل سوريا. الوضع فى دمشق كان بالكامل تحت سيطرة الرئيس هاشم الأتاسى. وافقت الوزارة على موقف شاريت ورفضت مناشدة لافون القوية بألا نفوِّت فرصة تاريخية. قال لافون: «الولايات المتحدة على وشك أن تخوننا وتتحالف مع العالم العربى». علينا أن «نظهر قوتنا نبين للولايات المتحدة أن حياتنا تعتمد على هذه القوة، حتى لا يجرؤن على فعل أى شئ ضدنا». لقد كان انتصار رئيس الوزراء قصير العمر.

حتى ذلك الوقت، لم تكن الحدود السورية الإسرائيلية تمثل أى مشكلة للإسرائيليين. وعندما نشب التوتر، كان ذلك بسبب الاستفزازات الإسرائيلية بشكل أو بآخر، مثل أعمال الرى من الأراضى التى يملكها المزارعون العرب، والتى أدانتها الأمم المتحدة؛ أو عدوان مراكب الدوريات العسكرية على الصيادين السوريين الذين يقومون بالصيد فى بحيرة طبرية. لم يكن أى نظام سورى

ليستطيع الامتناع عن تقديم الحد الأدنى من الحماية لمواطنيه على الحدود ضد الهجمات الإسرائيلية، أو سلبهم الوسيلة التى يتعيشون منها، ولكن حكام دمشق لم يشعروا بالاستقرار الكافى الذى يمكنهم من خلاله أن يرون أنفسهم مضطرين إلى الدخول فى صراع كبير مع جارهم الجنوبى. لذلك كانت الاشتباكات بسيطة، وخاصة فصلية. لم يكن من الممكن إثارة مسألة الأمن بشكل يؤكد مصداقيته لتبرير برنامج توسعى، أو أى اعتداء آخر ضد سوريا.

بالرغم من ذلك، قامت الطائرات الحربية الإسرائيلية، فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٥٤، باختطاف طائرة مدنية سورية بعد تحليقها، وأجبرتها على الهبوط فى مطار اللد. وتم التحفظ على الركاب وطاقم الطائرة، وتم استجوابهم لمدة يومين، إلى أن ثارت عاصفة دولية تحتج على العملية، مما أجبر الإسرائيليين على الإفراج عنهم. أثار الحادث غضب شاريت الشديد، وكتب إلى لافون فى ٢٢ ديسمبر يقول:

**«يجب أن يكون الأمر واضحًا لك، بأننا لا نملك أى مبرر أيا كان للاستيلاء على الطائرة، وكان علينا الإفراج عنها فور إجبارها على الهبوط، وليس التحفظ على الركاب تحت الاستجواب لمدة ٤٨ ساعة. ليس هناك أى سبب يجعلنى أشك فى حقيقة التأكيدات الواقعية التى قدمتها وزارة الخارجية الأمريكية بأن هذا الفعل الذى قمنا به غير مسبوق فى تاريخ الممارسات الدولية... ما يصدمنى ويقلقنى هو ضيق أفق وقصر نظر قياداتنا العسكرية. ففيما يبدو أنهم افترضوا أن دولة إسرائيل يمكنها، بل يجب عليها، أن تتصرف فى مملكة العلاقات الدولية بناء على قوانين الغاب». (٢٢ ديسمبر ١٩٥٤، ٦٠٧).**

وجه شاريت، أيضًا، اعتراضه إلى لافون بخصوص الحملة الإعلامية الفضيحة، والتى شك فى أنها كانت مستلهمة من المؤسسة الأمنية، وكانت

تهدف إلى إقناع الرأى العام بأن الطائرة السورية أوقفت وأجبرت على الهبوط لأنها انتهكت السيادة الإسرائيلية، وربما عرضت أمنها أيضا للخطر. «ونتيجة لذلك، لم يفهم الرأى العام لماذا تم الإفراج عن مثل هذه الطائرة، ومن الطبيعى أن يتصور بان الحكومة رضخت بلا مبرر». (نفس اليوم والصفحة)

فى ١١ ديسمبر، اليوم الذى سبق قيام إسرائيل بالقرصنة الجوية غير المسبوقة فى العالم كله، ألقت السلطات السورية القبض على خمسة جنود إسرائيليين داخل الأراضى السورية بينما كانوا يضعون أسلاك تنصت على شبكة التليفونات السورية. بعد شهر من تلك العملية، فى ١٣ يناير عام ١٩٥٥، انتحر أحدهم فى السجن. خرجت الصيغة الرسمية الإسرائيلية، مرة أخرى، تقول إنه تم اختطاف خمسة جنود فى الأراضى الإسرائيلية، وسحبهم إلى سوريا، وتعذيبهم. وكانت النتيجة أن ثارت مشاعر الإسرائيليين فى ثورة كبيرة، خاصة وأن تلك الأنباء وصلت بعد قرار الإدانة فى القاهرة ضد أعضاء الشبكة الإرهابية الإسرائيلية، والتى وصفت للرأى العام على أنها مكيدة ضد اليهود. وكتب رئيس الوزراء فى يومياته الشخصية يقول:

**«لقد تم التضحية بصبى صغير من أجل لا شىء... والآن سوف يقولون إن دمه على يداى. إن لم أعط أمرًا بالإفراج عن الطائرة السورية [لأصبح لدينا رهائن و] لكان من الممكن إجبار السوريين على الإفراج عن الخمسة. ولكان الصبى... لا زال حيا اليوم.. لم يقم مغيرون سوريون بخطف جنودنا فى الأراضى الإسرائيلية كما أعلن المتحدث الرسمى العسكرى... بل لقد تسللوا إلى سوريا، ولم يحدث ذلك بطريق الخطأ، بل من أجل وضع أسلاك تنصت على خطوط التليفون السورية... لقد تم إرسال الشباب بدون أن يكون معهم شخص يملك الخبرة، لم يحصلوا على أى تعليمات حول أسلوب التصرف فى حالة الفشل، والنتيجة كانت أنهم انهاروا مع أول استجواب، واعترفوا بالحقيقة كلها... ليس**

**لدى أى شك فى أن الصحافة والكنيست سوف يعلنون بأنهم تعرضوا للتعذيب. ولكن على الجانب الآخر، من الممكن أن يكون الصبى قد انتحر لأنه انهار خلال الاستجواب، واستوعب، لاحقا، الكارثة التى لحقت بزملائه بسببه، والذى فعله فى حق الدولة. وهناك احتمال أن يكون زملاؤه قاموا بلومه بشدة فيما بعد. على أية حال، من المحتمل أن يكون ضميره قد دفعه إلى أن يأخذ تلك الخطوة البشعة». (٣ يناير ١٩٥٥، ٦٤٩)**

**« إيسر [هاريل رئيس (الشين بيت) فى ذلك الوقت] حذرنى مما يمكن أن يحدث لى شخصيًّا نتيجة للانتحار. كان هناك هجوم مسموم ينظم ضدى. . . من الضرورى الاعتناء بما يحدث فى الجيش ومنع التمرد غير القانونى. (١٤ يناير ١٩٥٥، ٦٥٣). من الواضح أن نية ديان. . هى الحصول على رهائن [سوريين] من أجل الحصول على الإفراج عن معتقلينا فى دمشق. لقد سيطرت على ذهنه فكرة أنه من الضرورى أن يكون لدينا رهائن، ولم يتنازل عنها». (١٠ فبراير ١٩٥٥، ٧١٤)**

بعد ١٩ عامًا، أمر ديان، وزير الدفاع فى حكومة جولدا مائير فى ذلك الوقت، قواته بالتحرك إلى مدرسة فى معالوت، بغض النظر عن الخطر الذى قد يتعرض له المدنيون الإسرائيليون بمن فيهم الأطفال، بهدف واحد هو منع الإرهابيين الفلسطينيين من الحصول، عبر اختطاف رهائن، على الإفراج عن أحد زملائهم الفلسطينيين الذى سجن وعذب تحت الاحتلال العسكرى للضفة الغربية وقطاع غزة. فى تلك الحالة، كما فى حالات مماثلة، أعلنت إسرائيل فى حملة صهيونية عنيفة ومسمومة، ترددت أصداؤها فى أنحاء الإعلام الغربى، بأن محاولة منظمة التحرير الفلسطينية للإفراج عن المسجونين من خلال اختطاف رهائن مسألة غير محتملة، مسألة همجية ومتوحشة وقاتلة وإرهابية. متى أطلقت وسائل الإعلام نفسها تلك الحملة على موسى ديان صفة الإرهابى؟

لم تقتصر المؤامرات الإسرائيلية ضد سوريا فى الخمسينات على التوسع ومشاريع إرهابية. فى ٣١ يوليه عام ١٩٥٥، أبلغ جدعون رافائيل، أحد كبار مساعدى وزير الخارجية، شاريت عن «اجتماعين مثيرين» عقدهما مع لاجئين عرب فى أوروبا. كان أحد تلك الاجتماعات مع حسنى البرازى رئيس الوزراء السورى السابق:

**«حسنى يريد العودة إلى السلطة، وهو على استعداد لقبول مساعدة من أى شخص: من تركيا، مقابل دخول سوريا فى المستقبل فى معاهدة أنقرة ـ بغداد [حلف بغداد]؛ ومن الولايات المتحدة، مقابل تحالف سوريا فى المستقبل مع الغرب، من إسرائيل، مقابل اتفاقية سلام. (٣١ يوليه ١٩٥٥، ١٠٩٩).**

لكن السلام كان آخر شىء تهتم به إسرائيل. مساندة إسرائيل تتطلب ثمنًا آخر.

**«فى غضون ذلك الوقت يقول لنا إعطى ـ إعطى: المال للصحف، المال لشراء شخصيات، المال لشراء أحزاب سياسية. جدعون [اقترح له... ] هو نفسه يملك أراضى كثيرة، فلماذا لا يجمع عددًا من ملاك الأراضى ويبدأ خطة كبيرة لتوطين اللاجئين... حسنى يستمع، يقول إنها فكرة رائعة... ولكن بعد استعادة السلطة فحسب، وإلى أن يستعيد السلطة فهو فى حاجة إلى الدفع مسبقًا». (٣١ يوليه ١٩٥٥، ١١٠٠).**

بعد مرور عام، وقبل أسبوع من سقوطه النهائى من الحكومة، حصل شاريت على تقرير أخير عن أنشطة إسرائيل التخريبية فى سوريا من مستشاره فى الشئون العربية، «جوش» بالمون:

**«تمت تقوية اتصالاتنا مع [أديب] الشيشكلى [الديكتاتور السورى المنفى بعد الإطاحة به فى عام ١٩٥٤]. ولقد تم وضع الخطوط**

**العريضة لعمل مشترك بعد عودته الى السلطة (إن عاد!). ولقد اتفقنا على منهج محدد للاتصال بالولايات المتحدة بخصوص تلك المسألة». (١٢ يونيه ١٩٥٦، ١٤٣٠)**

لم تتبلور حقيقة أى من تلك «الفرص التاريخية» فى ذلك الوقت، كما أن إسرائيل، من جانبها، لم تتخل عن خططها من أجل صناعة نظام تابع لها فى دمشق. وفى لبنان، تأخر عشرين عامًا، تنفيذ مشروع صناعة نظام تابع لها والذى تم التفكير فيه منذ عام١٩٥٤[٥].

* * *

# الفصل الخامس

## دعنا نقيم دولة مارونية فى لبنان

لقد ذكرنا من قبل الاجتماع الذى عقد فى ٢٧ فبراير ١٩٥٤ بين بن جوريون وشاريت ولافون وديان، حول خطط قيام إسرائيل بغزو كل من مصر وسوريا. فى هذا الاجتماع نفسه، تم وضع النقط الرئيسية لاقتراح محكم من أجل زعزعة جار إسرائيل الأكثر سلمًا فى ذلك الوقت، لبنان. وفى تلك الحالة، لم تحاول طموحات إسرائيل أن تزعم حتى ارتداء ورقة التوت المزورة والخاصة بالأمن أو الدفاع.

**«بعد ذلك قام [بن جوريون] بالانتقال إلى موضوع آخر. وقال، الآن هو الوقت لدفع لبنان، أقصد المارونيين فى هذا البلد، إلى إعلان قيام دولة مسيحية. قلت إن هذا كلام فارغ. المارونيون منقسمون. وأنصار الانفصال المسيحى ضعفاء، ولن يجرءون على فعل أى شىء. لبنان مسيحية سيعنى بأن عليهم التنازل عن صور**

**وطرابلس والبقاع. ليس هناك أى قوة يمكنها أن تعيد لبنان إلى حجمها الذى كان قبل الحرب العالمية الاولى، ذلك لأن فى تلك الحالة، ستفقد لبنان سبب بقائها الاقتصادى. كان رد فعل بن جوريون عصبيًا. وبدأ بسرد كل التبريرات التاريخية لقيام لبنان مسيحية محدودة. إن حدث مثل هذا التطور، فإن القوى المسيحية لن تجرؤ على الاعتراض. ادعيت أنه ليس هناك أية عوامل قائمة تساعد على خلق مثل هذا الوضع، وإن كنا سندفع إليه ونشجعه وحدنا، فسوف نورط أنفسنا فى مغامرة لن تعود علينا إلا بالعار. هنا جاءت موجة من الإهانات خاصة بافتقارى للجرأة، وضيق أفقى. علينا أن نرسل مبعوثين، وأن ننفق بعض المال. قلت إننا لا نملك المال. الإجابة كانت، هذا ليس صحيحًا. يجب إيجاد المال، إن لم يكن فى الخزانة، ففى الوكالة اليهودية! هذا المشروع يستحق أن نلقى بمئة ألف، نصف مليون، مليون دولار. عندما يحدث ذلك سوف يحدث تغييرا جوهريا فى الشرق الأوسط، وعصر جديد سيبدأ. داهمنى الإرهاق من الصراع ضد التيار». (٢٧ فبراير ١٩٥٤، ٣٧٧)**

فى اليوم التالى، بعث بن جوريون بالرسالة التالية إلى شاريت:

إلى موسى شاريت رئيس الوزراء

سديه بوكير ٢٧ فبراير، ١٩٥٤

**«عندما انسحبت من الحكومة؛ قررت من قلبى أن أكف عن التدخل أو التعبير عن رأى فى الشئون السياسية الجارية حتى لا أثير مشاكل للحكومة بأى شكل. وإن لم تقوموا ثلاثتكم، أنت ولافون وديان، بدعوتى، لما قمت، بدعوة من نفسى، بالتعبير عن رأيى عما حدث أو ما يجب أن يحدث. ولكن بما أنكم دعوتمونى، فإنى أرى أنه من**

واجبى تلبية رغبتكم، وخاصة رغبتك كرئيس وزراء. لهذا السبب، سمحت لنفسى بان أعود إلى مسألة واحدة لم توافق عليها لنناقشها مرة أخرى، وهى مسألة لبنان.

. . . من الواضح أن لبنان هى أضعف حلقة فى جامعة الدول العربية. الأقليات الأخرى فى الدول العربية كلهم مسلمون باستثناء الأقباط. ولكن مصر هى أكثر الدول العربية إحكاما وصلابة، والأغلبية هناك تضم كتلة صلبة واحدة، من عنصر ودين، ولغة واحدة، والأقلية المسيحية لا تمثل خطرًا على وحدتهم السياسية والوطنية. ولكن الوضع ليس صحيحًا بالنسبة للبنان. فهم أغلبية فى لبنان التاريخية، وهذه الأغلبية لديها تقاليد وثقافة مختلفة عن تلك الخاصة بالأعضاء الآخرين فى الجامعة العربية. وأيضًا داخل الحدود الأوسع (ذلك كان أسوأ خطأ قامت به فرنسا عندما قامت بتوسيع حدود لبنان)، المسلمون ليسوا أحرارًا فى تصرفاتهم، حتى ولو كانوا أغلبية هناك (ولا أعرف إن كانوا بالفعل أغلبية) خوفًا من المسيحيين. لهذا السبب فإن إقامة دولة مسيحية هى عمل طبيعى؛ فلها جذور تاريخية، وسوف تحصل على مساندة دوائر واسعة فى العالم المسيحى، سواء الكاثوليكى أو البروتستانتى. فى الأوقات العادية، ذلك يكاد يكون مستحيلاً. أولا، وخاصة، لأن المسيحيين يفتقرون للشجاعة وللمبادرة. ولكن فى زمن الاضطراب، أو الثورة، أو الحرب الأهلية، فان الأمور تأخذ منعطفًا آخر، وحتى الضعيف سيعلن نفسه بطلاً. ربما (ليس هناك أى تأكيدات فى السياسة) الآن هو الوقت المناسب للعمل من أجل إقامة دولة مسيحية بين جيراننا. بدون مبادرة منا وبدون مساعدتنا القوية، لن يمكن تحقيق ذلك. يبدو لى أن تلك هى المهمة الأساسية ـ على الأقل أحد المهام الأساسية ـ لسياستنا الخارجية. وهذا يعنى أنه يجب

**استثمار الوقت والطاقة والوسائل فيها، وأن علينا، أن نتحرك بأى طريقة ممكنة من أجل فرض تغيير جذرى فى لبنان. يجب تعبئة ساسون. . . والمستعربين الآخرين. إن كان المال ضروريًا، فيجب ألا نستبقى أى كمية مطلوبة من الدولارات، رغم أن المال قد يتم إنفاقه بلا فائدة. يجب أن نركز كل جهودنا على تلك القضية. . . إنها فرصة تاريخية. ضياع الفرصة مسألة لا يمكن التسامح فيها. ليس هناك تحدى ضد القوى العالمية فى تلك المسألة. . . يجب عمل كل شئ، فى رأيى، بسرعة وبأقصى طاقة.**

**رغم كل شىء، فإن الهدف لن يتحقق بالطبع بدون تقليص حدود لبنان. ولكن إذا كان من الممكن العثور على رجال فى لبنان، وآخرين فى المنفى، على استعداد لأن يعبئوا أنفسهم من أجل إقامة دولة مارونية، فإن الحدود الموسعة والأغلبية المسلمة ستكون بلا فائدة لهم، ولن تمثل عاملاً مقلقًا.**

**لا أعرف ما إذا كان لدينا أحد فى لبنان ـ ولكن هناك سبل مختلفة يمكن من خلالها تنفيذ التجربة المقترحة».**

**د. ب. ج. (٢٧ فبراير ١٩٥٤، ٢٣٩٧-٢٣٩٨)**

بعد أسابيع قليلة رد شاريت قائلا:

السيد ديفيد بن جوريون ـ ١٨ مارس ١٩٥٤.

**«. . . . إننى أفترض دائمًا أنه إن كان هناك أحيانا بعض الأسباب للتدخل من الخارج فى الشئون الداخلية لدولة ما، من أجل مساندة حركة سياسية داخلية لهدف ما، فإنه يتم فى حال أظهرت تلك الحركة بعض النشاط المستقل الذى قد يكون هناك فرصة لدعمه فى، وربما إنجاحه من خلال التشجيع والمساعدة من الخارج. ليس هناك**

أى معنى فى محاولة تشكيل من الخارج حركة لا تستطيع أن تتشكل من الداخل . . . من المستحيل ضخ حياة فى جسد ميت .

«حسب معلوماتى ، لا يوجد فى لبنان اليوم أية حركة تستهدف تحويل البلاد إلى دولة مسيحية يحكمها المجتمع المارونى . . .

«وذلك لا يدهشنى . إن تحول لبنان إلى دولة مسيحية كنتيجة لمبادرة من الخارج ، مسألة غير ممكن تحقيقها اليوم . . . أنا لا أستبعد إمكانية تنفيذ هذا الهدف غداة تعرض منطقة الشرق الأوسط إلى موجة من الصدمات . . . تدمر القوى الحالية وتشكل مجموعات أخرى . ولكن فى لبنان الحالية ، بحجم أرضها وسكانها الحاليين وعلاقاتها الدولية ، لا يمكن تخيل مبادرة جادة من هذا النوع .

إن المسيحيين لا يمثلون الأغلبية فى لبنان . كما أنهم ليسوا كتلة موحدة ، سواء سياسيًا أو اجتماعيًا . فالأقلية الأرثوذكسية فى لبنان تسعى لأن تربط نفسها بإخوانها فى سوريا . هؤلاء غير مستعدين لأن يحاربوا من أجل لبنان مسيحى ، أى من أجل لبنان أصغر حجمًا مما هو عليه اليوم ، ومنفصلا عن جامعة الدول العربية . بل على العكس ، من المتوقع ألا يعترضوا على لبنان متحد مع سوريا ، حيث إن ذلك سوف يسهم فى تقوية مجتمعهم والمجتمع الأرثوذكسى عبر المنطقة . . . فى الواقع ، هناك مسيحيون أرثوذكس فى سوريا أكثر مما فى لبنان ، وأرثوذكس سوريا ولبنان معًا أكثر عددًا من المارونيين .

أما بالنسبة للمارونيين ، فإن الأغلبية العظمى منهم ظلوا لسنوات طويلة يساندون الزعماء السياسيين العمليين من مجتمعهم ، والذين تخلوا منذ زمن بعيد عن حلم لبنان المسيحى ، ويحاولون إقامة تكتل مسيحى ـ مسلم فى البلاد . هؤلاء الزعماء نما لديهم الشعور بأن ما

من فرصة للبنان مارونية معزولة، وبأن الرؤية التاريخية لمجتمعهم تعنى إقامة شراكة مع المسلمين فى السلطة، وفى عضوية لبنان فى جامعة الدول العربية، وذلك بأمل وبقناعة بأن تلك العوامل يمكنها أن تضمن أن يتخلى المسلمون اللبنانيون عن رغبتهم فى وحدة لبنان مع سوريا، وسوف يدعم بينهم تنمية الشعور بلبنان مستقل.

«لهذا السبب، فإن الغالبية العظمى من المجتمع المارونى قد تكون عرضة لأن ترى فى كل محاولة لرفع علم أراضٍ متقلصة وسلطة مارونية، محاولة خطيرة لهدم وضع مجتمعهم، وأمنه، وحتى وجوده نفسه. مثل تلك المبادرة ستبدو كارثة عليهم لأنها سوف تقطع أوصال نسيج التعاون المسلم ـ المسيحى فى لبنان الحاضر، والذى بنى عبر جهود وتضحيات ضخمة من أجل جيل كامل؛ ولأنه قد يعنى إلقاء المسلمين اللبنانيين فى أحضان سوريا، وأخيراً، لأنه قد يعيد بشكل قاتل، الكارثة التاريخية وهى ضم لبنان إلى سوريا والقضاء تماماً على شخصيتها من خلال ذوبانها داخل دولة إسلامية كبيرة.

«قد تعترض على أساس أن تلك الحجج غير ذات موضوع، حيث إن الخطة وضعت على أساس اقتطاع الأقاليم المسلمة من لبنان فى صور والبقاع وطرابلس. ولكن من يستطيع أن يتنبأ ما إذا كانت تلك الأقاليم سوف تتنازل بالفعل عن روابطها مع لبنان وصلاتها السياسية والاقتصادية مع بيروت؟ من يستطيع أن يؤكد أن جامعة الدول العربية ستكون مستعدة لأن تتنازل عن وضع منحها إياه انتساب لبنان لها. . . ؟ من سيشهد على أن الحرب الدموية التى ستتفجر حتما نتيجة لمثل تلك المحاولة، سوف تظل محدودة فى لبنان ولن تدفع سوريا إلى أرض المعركة فوراً؟ من يستطيع أن يتأكد

من أن القوى الغربية سوف تقف كمراقب ولن تتدخل فى التجربة قبل تحقيق الدولة اللبنانية المسيحية؟ من يستطيع أن يضمن أن الزعامة المارونية نفسها لن تدرك كل المسائل التى طرحت عاليه، ولذلك سوف تتراجع عن مثل هذه المغامرة الخطيرة؟

« . . . هناك أيضًا حجج اقتصادية حاسمة ضد المشروع. إننا لا نناقش المسألة فى أعوام ١٩٢٠/ ٢١ . . ولكن ٣٠ عامًا بعد هذا التاريخ. فى خلال تلك الفترة تم دمج جبل لبنان فى وحدة عضوية مع السهل الساحلى فى صور وصيدا، وفى وادى بعلبك ومدينة طرابلس. إنها معتمدة على بعضها البعض، ولا يمكن فصلها تجاريًا أو اقتصاديًا. لم يكن جبل لبنان وحدة واحدة تتمتع بالاكتفاء الذاتى حتى قبل الحرب العالمية الاولى. . . وأدى ضم الأقاليم الثلاثة، فضلاً عن بيروت، إلى دولة لبنان، إلى إمكانية إنشاء اقتصاد متوازن. العودة إلى الماضى لا تعنى إجراء عملية جراحية فحسب ولكن أيضًا تعنى تفكك يؤدى إلى نهاية لبنان. . .

«إننى لا أستطيع أن أتخيل، حتى من تلك الرؤية وحدها، بأن أى منظمة جادة سوف تتعاون مع خطة، فى رأيى، سوف تكون نتيجتها الانتحار الاقتصادى.

«بعد قول كل ما سبق، [يجب أن أضيف] لم أكن أنوى أن أعترض، بل على العكس، كنت سأقوم بلا شك بتأييد الفكرة، وأساعد ايجابيًا أى مظهر من مظاهر التوتر فى المجتمع المارونى يهدف إلى تقوية توجهاته الانعزالية، حتى ولو لم يكن هناك فرصًا حقيقية لتحقيق الأهداف؛ كنت سأنظر إيجابيًا إلى مجرد وجود مثل هذا التوتر وعدم الاستقرار الذى سيتفشى بسببها، وكذلك المشاكل التى كانت سوف تتسبب فيها فى الجامعة، وتحول الانتباه من

**التعقيدات الإسرائيلية ـ العربية التى يمكن أن تتسبب فيها ، وإضرام حريق يكون دافعا نحو الاستقلال المسيحى . ولكن ما عساى أن افعل إن كان مثل هذا التوتر غير موجود؟ . . . فى الظروف الحالية ، أخشى أن أى محاولة من جانبنا سوف تعتبر بسيطة وسطحية ، أو أسوأ ، ستعتبر مضاربة غير محسوبة ضد الحياة الرغدة ووجود الآخرين نفسه ، والاستعداد للتضحية بالخير الأساسى لصالح مميزات تكتيكية مؤقتة لإسرائيل .**

**«ذلك فضلاً عن أنه ، إن لم يتم الاحتفاظ بتلك الخطة سرًا وعرف عنها الآخرون ، فإن خطرًا ـ لا يمكن الإقلال من شأنه فى ظروف الشرق الأوسط ـ سوف يسبب لنا خسارة . . . لن تعوض حتى من خلال نجاح محتمل للعملية نفسها . . . »**

**م . ش . (١٨ مارس ١٩٥٤ ، ٢٣٩٨ ـ ٢٤٠٠)**

ملاحظة خاطفة فى المذكرات فى ٢٤ أبريل ، بيَّنت لنا أنه تم بحث عقد «اتصالات بدوائر معينة فى لبنان» فى ذلك اليوم بين رئيس الوزراء وبعض معاونيه فى وزارة الخارجية . المرة التالية التى ذكرت فيها لبنان ، كانت فى ١٢ فبراير ١٩٥٥ : نجيب صفير «مغامر ورجل ذو رؤية» عرفه شاريت منذ عام ١٩٢٠ ، قام لتوه بزيارة للسفير الإسرائيلى فى روما ، إلياهو ساسون . . . فيما يبدو إنها كانت بناء على طلب من الرئيس كميل شمعون . لبنان ستكون مستعدة لتوقيع سلام منفصل إن قبلنا الشروط الثلاثة التالية : (أ) ضمان حدود لبنان ؛ (ب) مساعدة لبنان فى حالة تعرضه لهجوم من سوريا ؛ (ت) شراء الفائض الزراعى اللبنانى . اقترح ساسون . . . عقد اجتماع بينه وبين شمعون خلال زيارة الأخير التالية إلى روما . (١٢ فبراير ١٩٥٥ ، ٧٢٣)

فى ١٦ مايو ، وخلال اجتماع مشترك لكبار المسئولين فى وزارتى الدفاع والخارجية ، طرح بن جوريون مرة أخرى طلبًا بأن تفعل إسرائيل شيئًا بخصوص

لبنان. وأكد على أن الوقت مواتيًا بشكل خاص، بسبب تجدد التوتر بين سوريا والعراق، والمشاكل الداخلية فى سوريا. أعرب ديان فوراً عن تأييده الحماسى:

**«بالنسبة له (ديان) الشئ الضرورى الوحيد هو إيجاد ضابط، حتى ولو كان برتبة رائد فحسب. علينا إما أن نكسب قلبه أو شراءه بالمال، من أجل دفعه إلى الموافقة على إعلان نفسه منقذ الشعب المارونى. بعد ذلك سوف يدخل الجيش الإسرائيلى إلى لبنان، وسوف يحتل الأراضى الضرورية، وسوف يقيم نظاما مسيحيا يتحالف مع إسرائيل. الأراضى التى تمتد من الليطانى إلى الجنوب سوف تُضم كلها بشكل كامل إلى إسرائيل، وكل شىء سوف يسير على مايرام. إن قبلنا نصيحة رئيس الأركان، فسوف نقوم بذلك غدًا، بدون انتظار إشارة من بغداد.**

**«لم أرغب فى إثارة شجار مع بن جوريون. . أمام ضباطه، واكتفيت بالقول إن ذلك معناه. . . الحرب بين إسرائيل وسوريا. . . وفى الوقت نفسه، وافقت على تشكيل لجنة مشتركة تضم مسئولين من وزارة الخارجية والجيش للتعامل مع الشئون اللبنانية. . . [وحسب بن جوريون] على هذه اللجنة أن تتصل برئيس الوزراء. (١٦ مايو ١٩٥٤، ٩٦٦)**

**«أيَّد رئيس الأركان خطة لاستئجار ضابط [لبنانى] يوافق على أن يخدم كتابع، بحيث يبدو الجيش الإسرائيلى وكأنه يلبى نداءه «من أجل تحرير لبنان من مضطهديه المسلمين». ذلك سيكون بلا شك مغامرة مجنونة. . . يجب أن نحاول منع أية تعقيدات خطيرة. واللجنة ـ يجب أن تتولى مهمة البحث فى مهام وتحركات حذرة موجهة إلى تشجيع الدوائر المارونية التى ترفض ضغوط المسلمين، توافق على الاعتماد علينا». (٢٨ مايو ١٩٥٤، ١٠٢٤)**

استمرت «التحركات الحذرة». فى ٢٢ سبتمبر، وقع حادث غامض. تعرضت شاحنة فى الجليل، بالقرب من صفد، إلى هجوم. قتل شخصان، وأصيب عشرة. وحتى قبل أن تصل التحقيقات إلى تحديد من أين جاء المهاجمون (كان هناك فى ذلك الوقت، ثلاثة افتراضات متناقضة)، طلب ديان القيام بعمل انتقامى ضد لبنان. وتم بالفعل اختيار قرية لبنانية اشتبه فى أن تكون قاعدة المهاجمين. سيتم إخلاءها من سكانها خلال الليل، وسيتم تدمير منازلها. اعترض شاريت على قيام إسرائيل بفتح جبهة جديدة على طول حدود، كانت هادئة تماما منذ عام ١٩٤٨، ولكن هذا بالضبط ما أراده ديان: زعزعة استقرار لبنان والبحث عن شخصية تسبق الرائد سعد حداد الذى أعلن الدولة المارونية فى عام ١٩٧٩. هذا العمل الإرهابى نقطة انطلاق مثالية لتنفيذ خططه الموجهة إلى إثارة الاضطراب.

لكن شاريت اعترض على تحرك فورى. فى ذلك الوقت، تأجلت مؤامرة إسرائيل ضد لبنان لأسباب أخرى. فى أول أكتوبر عام ١٩٥٥، أعطت الحكومة الأمريكية عبر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، «الضوء الأخضر» لإسرائيل، لمهاجمة مصر. وهكذا أصبحت كل طاقات المؤسسة الأمنية الإسرائيلية مركَّزة بالكامل للاستعداد للحرب، على أن تشن بعد عام بالضبط. فى صيف عام ١٩٥٦، وفى الإعداد لعملية سيناء ـ السويس، تم إحكام التحالف السياسى والعسكرى مع فرنسا. هذا التحالف سوف يستمر، فعليًا، حتى عشية حرب ١٩٦٧، وسوف يمنع إسرائيل، خاصة بعد تولى ديجول السلطة فى فرنسا عام ١٩٥٧، من تنفيذ خططها لتقسيم دولة تعتبرها باريس تنتمى إلى دائرة نفوذها [لبنان]. كان من المقرر قيام إسرائيل بقصف جنوب لبنان لزعزعة استقرار تلك البلاد، فى عام ١٩٦٨، بعد حرب ١٩٦٧، وبعد تعيين ديان وزيراً للدفاع فى حكومة ليفى إشكول، وبعد انتقال إسرائيل النهائى من التحالف مع فرنسا إلى التحالف مع الولايات المتحدة[٦]. منذ ذلك الوقت، ولسنوات بعدها، هدف هذا التحالف غير المقدس إلى استغلال دائم لكل الوسائل الممكنة من أجل تصعيد

العنف الإرهابى والتدمير السياسى فى لبنان، وذلك حسب المخطط الإسرائيلى فى الخمسينيات. كل هذا غنى عن الذكر، تم تدبيره والتخطيط له قبل ظهور الإرهاب الفلسطينى بزمن[٧]. يجب القول إن كل المشاكل التى واجهتها إسرائيل، عبر كل تلك السنوات فى محاولتها تنفيذ طموحها القديم لتقسيم لبنان، وفصله عن العالم العربى، يمثل دليلا على أن كل تلك المؤامرات ما هى إلا عمليات خارجية تخالف الطموحات الحقيقية للشعب اللبنانى، أيًا كانت توجهاته الدينية.



# الفصل السادس

## الإرهــاب المقــدس

فى ١٧ مارس ١٩٥٤ ، تم الهجوم على شاحنة متجهة من إيلات إلى بئر سبع ، عند تقاطع طريق معاليه هاكرابيم . قتل عشرة ركاب ، ونجا أربعة . وحسب تقارير مقتفى الأثر التابعين للجيش الإسرائيلى ، اختفت كل الآثار الخاصة بالمهاجمين على بعد عشرة كيلومترات من الحدود الأردنية ، داخل الأراضى الإسرائيلية ، بسبب طبيعة الأرض الصخرية . وشهد أحد الناجين ، برتبة سرجنت ، وهو مسئول تأمين الرحلة ، أن المهاجمين كانوا «بدواً» . وقالت سيدة أخرى ، من الناجين ، إنهم كانوا «خمسة رجال يرتدون الملابس الطويلة» . وحسب قول شاريت ، قام الجيش «بإرسال بعض العرب المتعاونين معهم إلى قرية تل الصافى ، [على الجانب الأردنى من الحدود] فى مواجهة سودوم» . وبعد عودتهم ، أبلغ المتعاونون الجيش الإسرائيلى ، بأن سكان قرية تل الصافى «رأوا مجموعة من الأشخاص ، ما بين ٨ و١٠ ، يعبرون الحدود غربا [فى ذلك اليوم] . بغض النظر

عن حقيقة أنه كان معتاداً، منذ الزمن السحيق، أن يقوم بدو المنطقة العبور من تلك النقطة ذهاباً وإياباً، كان هناك بلا شك شيئًا غريبًا جدًا فى تلك القصة التى سردها المتعاونون، وقيام سكان القرية بتقديم الأدلة. فى الحقيقة، لم يأخذ الكولونيل هاتشيسون، الرئيس الأمريكى للجنة الهدنة الأردنية ـ الإسرائيلية المشتركة، المسألة بجدية. ومع انتهاء اللجنة من التحقيق، أعلن الكولونيل هاتشيسون، رسميًا، أنه «حسب شهادة الناجين، لم يتم اثبات أن كل القاتلين كانوا عربا». (٢٣ مارس ١٩٥٤، ١٤١).

بالإضافة إلى ذلك، نسب هاتشيسون بشكل واضح، وفى تقرير سرى موجه إلى الجنرال بينيكى[٨] بتاريخ ٢٤ مارس، الهجوم على الشاحنة إلى نية الإرهابيين فى تصعيد التوتر فى المنطقة وخلق مشكلة للحكومة الحالية. وبناء على ذلك، غادر الإسرائيليون لجنة الهدنة معترضين، وأطلقوا حملة عالمية ضد «الإرهاب العربى» و«الكراهية المتعطشة لدماء» اليهود. ومن منتجعه فى سديه بوكير، طلب بن جوريون أن تحتل إسرائيل الأراضى الأردنية، وهدد بمغادرة زعامة حزب ماباى إذا ما تقرر أن تكون لسياسة شاريت اليد العليا مرة أخرى. كما ضغط لافون أيضا من أجل التحرك. وفى ٤ أبريل، كتب رئيس الوزراء إلى بن جوريون يقول:

«سمعت أنك بعد معاليه هائكرابيم، فكرت أنه علينا احتلال الأراضى الأردنية. فى رأيى، مثل تلك الخطوة قد تقودنا إلى حرب مع الأردن التى تساندها بريطانيا، بينما ستقوم الولايات المتحدة بإدانتنا أمام العالم أجمع وتعاملنا كمغيرين. بالنسبة لإسرائيل، ذلك قد يعنى كارثة وربما الدمار». (٤ أبريل ١٩٥٤، ٤٥٣).

حاول شاريت تجنب عملية عسكرية. وقال للمسئولين فى وزارة الخارجية إننا «جميعا مع الرأى بأن الانتقام من مثل تلك المذبحة لن يعمل إلا على إضعاف صورتها البشعة، وسوف يضعنا نحن على المستوى نفسه مع القتلة على الجانب الآخر. من الأفضل لنا أن نستغل حادث معاليه هائكرابيم كمبرر لهجوم سياسى

على القوى الكبرى حتى تمارس ضغوطًا لم يسبق لها مثيل على الأردن». كما أشار إلى أن عملية انتقامية سوف تضعف تأثير الحملة الدعائية العريضة والتى، كما كتب فى يومياته، يجب أن تشن لمواجهة «الاهتمام الذى أبدته الصحافة الأمريكية للرواية الأردنية . . . والتى تقول إن مذبحة معاليه هائكرابيم ارتكبها الإسرائيليون». ولقد أعلن رئيس الوزراء، علانية وفى يومياته الخاصة، أنه يتردد فى تصديق تلك الرواية(٩).

لكن فى أعماق قلبه، كان لدى شاريت أيضا، شكوكه التى لا يريد الإفصاح عنها. فقد قام شاريت، ليس بمنع التحركات التى اقترحها العسكريون فحسب، ولكنه قرر أيضا بأن على إسرائيل الامتناع عن تقديم شكوى إلى مجلس الأمن، أى الامتناع عن المشاركة فى جدل دولى، كان يتصور بأنه قد يكون غير مجد. شعر أنه قد يكون قد تصرف بحكمة عندما قام ديان خلال النقاش الذى جرى فى ٢٣ أبريل، بالتلميح بشكل عارض أنه «غير مقتنع بأن مذبحة معاليه هائكرابيم كانت عملاً قامت به عصابة عسكرية منظمة». وفيما بعد علم من الصحفى البريطانى، جون كيمشى، أن ديان قال عن معاليه هائكرابيم بأن «تقارير الأمم المتحدة تكون عادة أكثر دقة من تقاريرنا. . .». وكتب يقول: «سمعت هذا الأسبوع من مصدر آخر، أن ديان قال للصحفيين الإسرائيليين إنه لم يتم إثبات أن عصابة معاليه هائكرابيم كانت أردنية - وإنه من المحتمل أن تكون محلية».

بالطبع، لم يخطر على بال شاريت أن يفتح تحقيقا داخليا من أجل الوصول إلى الحقيقة. بل بالعكس، أصر على استبعاد الكولونيل هاتشيسون من منصبه كشرط لعودة إسرائيل إلى لجنة الهدنة. ولكن المؤسسة العسكرية كانت مترددة فى الموافقة على معارضته على شن هجوم جديد ضد الضفة الغربية. واتخذت مبرراً لهجوم واسع النطاق، ليس حادث معاليه هائكرابيم، بل حادثا بسيطا وقع فى منطقة القدس، ليلة ٢٨ مارس، وشن الجيش هجومه على قرية ناحلين، بالقرب من بيت لحم. قتل وأصاب عشرات المدنيين، ودمر المنازل، والقرية - قرية فلسطينية أخرى - دمرها عن آخرها.

**«قلت [لـ تيدى كوليك (مساعد أول فى مكتب رئيس الوزراء فى ذلك الحين، ورئيس بلدية القدس حاليًا)] ها نحن عدنا إلى نقطة البداية ـ هل نتجه نحو الحرب، أم أننا نريد تجنب الحرب؟ حسب رأى تيدى، القيادة العسكرية متعطشة للحرب. . . [إنهم] لا يرون على الإطلاق المشاكل الاقتصادية، وتعقيدات العلاقات الدولية». (٣١ مارس ١٩٥٤، ٤٢٦)**

كانت العواصم العربية مقتنعة أيضا أن التصعيد الذى تقوم به إسرائيل لإثارة أحداث استفزازية، وإرهاب، وعمليات انتقامية جديدة، تعنى أن إسرائيل كانت تعد الأرض للحرب. ولذلك، أقاموا تعزيزات عسكرية على طول الحدود، واتخذوا إجراءات قوية لمنع أى تسلل داخل إسرائيل. لقد أثار ذلك قلق الإسرائيليين. قال ديان لأحد الصحفيين الأصدقاء: «الوضع على الحدود أفضل مما كان عليه لمدة طويلة، وفى الحقيقة فهو وضع مرض تمامًا»، ولقد أبلغ الصحفى شاريت ذلك فى ١٧ مايو. وعلى ذلك أدخل الجيش الإسرائيلى استراتيجية جديدة، أكثر مكرًا، لشن هجمات سرية. هدفها: تجاوز كل من الاستعدادات الأمنية العربية، ومعارضة شاريت للموافقة على هجمات عبر الحدود. تسللت وحدات صغيرة إلى الضفة الغربية وغزة تحمل توجيهات محددة للاشتباك مع وحدات مصرية، أو أردنية منعزلة، أو الدخول إلى القرى من أجل عمليات تخريب، أو قتل. وفى كل مرة، كانت مثل تلك العمليات توصف فيما بعد، وبشكل غير صحيح، من خلال تصريحات رسمية، بأنها وقعت داخل الأراضى الإسرائيلية. وكلما وقع هجوم، كان المتحدث الرسمى العسكرى يوضح بأن الوحدة توجهت لتعقب المهاجمين داخل أراضى العدو. كانت تقع عمليات شبه يومية، تقوم بها الوحدة الخاصة التابعة لآرييل شارون، وتسببت فى عدد ضخم من الخسائر. وكان الجميع يترك رئيس الوزراء دائمًا، يخمن عما وقع حقيقة. وما بين شهرى أبريل ويونيه، كتب فى يومياته أنه علم بالصدفة، على سبيل المثال، عن عملية قتل بالدم البارد لصبى فلسطينى كان موجودا بالصدفة فى

طريق الوحدة الإسرائيلية بالقرب من قريته فى الضفة الغربية . وكتب فيما يخص حادثًا آخر ، يقول :

**«أخيرًا اكتشفت سر الصيغة الرسمية حول عملية تل الصافى ـ قام عربيان ، كنا قد أرسلناهما للهجوم على المختار [العمدة] الذى قيل إنه تورط فى عملية سرقة ، وقتلا زوجته : وفى حادث آخر ؛ قامت إحدى وحداتنا بعبور الحدود (عن طريق الخطأ) فى حادث ثالث ، حينما كان ثلاثة من جنودنا يقومون بدورية فى عمق الأراضى الأردنية ، فوجئوا بالحرس الوطنى الذى فتح النيران عليهم (من سيراجع صحة الخبر؟) وقاموا بالرد عليهم وقتلوا أربعة» . (٣١ مايو ١٩٥٤ ، ٥٢٣)**

**«المئات من العمال فى سودوم يعلمون الحقيقة ، ويسخرون من [إنكار عملية القتل التى أذاعتها] الإذاعة الإسرائيلية ، والحكومة الإسرائيلية .**

**«هذا الوضع يجعل حياة ومشروع سودوم فى خطر . . . هل الجيش مخول للتصرف بهذا الشكل ، حسب أهواءه ويضع مثل هذا المشروع الحيوى فى خطر؟» (١٣ مايو ١٩٥٤ ، ٥١٤)**

فى ٢٧ يونيه ، عبرت وحدة عسكرية إسرائيلية الحدود ، «عن طريق الخطأ» ، حسب البيان الرسمى ، ودخلت عمق ١٣ كيلومترًا فى الضفة الغربية ، حيث قامت بالهجوم على قاعدة أزون العسكرية الأردنية ، شرقى قلقيلية ، وتسببت فى خسائر . وعلق شاريت على تصريحات المتحدث الرسمى العسكرى فقال : «شىء همجى ، ها هم يكذبون مرة أخرى أمام الجميع» .

ما كان يخافه شاريت أكثر من أى شئ آخر ، هو رد فعل الغرب . وسجل رئيس الوزراء فى يومياته عددًا من التصريحات الأمريكية التى تعبر عن قلق الحكومة ، والتى وجهتها خلال تلك الأسابيع إلى الحكومة الإسرائيلية .

**«قدمت السفارات الأمريكية فى العواصم العربية تقارير فحصتها واشنطن، وأعطت وزارة الخارجية القناعة بأن الخطة الإسرائيلية للانتقام، والتى سيتم تنفيذها حسب الجدول المعد سلفا، جاهزة بالفعل، وأن الهدف هو تصعيد التوتر بشكل مستمر فى المنطقة من أجل تفجير حرب. (١٠) والديبلوماسية الأمريكية أيضا على قناعة بأن إسرائيل لديها النية لأن تخرب المفاوضات الأمريكية مع مصر، وأيضا تلك مع العراق وتركيا، والتى تهدف إلى إقامة تحالفات موالية للغرب». (١٤ أبريل ١٩٥٥)**

هذا التحليل كان صحيحا. ولقد تم تأكيده مرة أخرى فى الأسابيع التالية عندما قامت إسرائيل برفض الاقتراحات الأمنية الحدودية التى كانت مصر قد وافقت عليها، بما فى ذلك إقامة دوريات مشتركة إسرائيلية ـ مصرية ـ الأمم المتحدة، وزرع ألغام فى بعض المناطق المعينة على الحدود. ولقد أكد ديان أن مثل تلك التجهيزات، «سوف تقيد أيادينا». وسوف تتأكد مرة أخرى [خطة إسرائيل فى تخريب العلاقات الأمريكية الغربية]، فى شهر يوليه، عندما كشفت السلطات المصرية عن شبكة إرهابية إسرائيلية، كلفت بمهمة تخريب المراكز الغربية فى كل من القاهرة والإسكندرية.

استمر الإرهاب الإسرائيلى على الحدود فى أشكال مختلفة وبدون توقف خلال العامين التاليين، وحتى عشية حرب سيناء ـ السويس، كما استمرت بالطبع، بعد هذا التاريخ. قام شاريت بتدوين فترة «من أسوأ الفترات» فى مارس ١٩٥٥، بعد عملية غزة مباشرة.

**«أبلغ الجيش تكوع. . . [المسئول عن لجنة شئون الهدنة فى وزارة الخارجية] أن عملية انتقامية (خاصة) نفذت ليلة أمس بعد قتل شاب وامرأة، اوديد فيجماستر وشوشانا هارتسيون، اللذان كانا فى رحلة وحدهما حول عين جِدى [فى أراضٍ أردنية]. حسب الرواية التى**

قدمها الجيش، عبرت مجموعة من الشباب، بمن فيهم شقيق الفتاة، مائير هارتسيون[١١] . . . عبروا الحدود وهاجموا مجموعة من البدو، وقتلوا خمسة منهم. يقول الجيش إنه كان يعرف أن تلك العملية كان يتم الإعداد لها، وأنه كان ينوى منعها، ولكن حسب معلوماته كانت العملية مدرجة للتنفيذ الليلة، وكان هناك متسع من الوقت لمنعها، ولكن الشباب قدموا تاريخ العملية، وذلك هو السبب فى أن ما حدث ـ قد حدث. أصدر الأردنيون اليوم رواية مختلفة تماما: قام عشرون جندى إسرائيلى بارتكاب عملية القتل، هاجموا ستة من البدو، قتلوا خمسة وتركوا واحدًا حيًا، وقالوا إن هذه العملية هى عملية انتقامية من عملية قتل الرجل والمرأة. . . وان عليه إخبار الآخرين عنها. المتحدث الرسمى العسكرى أعلن الليلة. . أنه لم تتورط أى وحدة عسكرية فى العملية. . . .

قد يعتبر ذلك دليلاً حاسما على أننا قررنا الانتقال إلى هجوم عام ودموى على كل الجبهات: أمس غزة، اليوم الحدود الأردنية، وغدا منطقة منزوعة السلاح فى سوريا، وهكذا. فى اجتماع الحكومة غدًا سوف أطلب محاكمة القتلى باعتبارهم مجرمين». (٥ مارس ١٩٥٥، ٨١٦)

«أبلغ بن جوريون [الذى عاد الى الحكومة كوزير دفاع غداة عملية لافون] الحكومة. . . كيف ألقى شبابنا الأربعة الصبيان القبض على البدو واحدا بعد الآخر، وكيف أخذوهم إلى الوادى، وكيف ذبحوهم بالسكين الواحد بعد الآخر، وكيف قاموا باستجواب كل واحد منهم، قبل قتله، عن هوية قتلة الصبى والفتاة، وكيف لم يستطيعوا فهم الإجابات على أسئلتهم، حيث أنهم لم يكونوا يتحدثون العربية. كان يقود المجموعة مائير هارتسيون، من كيبوتز

فين هارود. . . ولقد قاموا بتسليم أنفسهم إلى الجيش واعترفوا بكل ما قاموا به.

«رأيت أنا وبن جوريون أنه من الأفضل محاكمتهم فى محكمة عسكرية. . . من الناحية التعليمية من المفضل أن تحكم محكمة عسكرية بالحكم بالسجن الذى سيدانون به، حيث أن الجيش لن يشعر بالاحترام نحو عقاب يأتى من محكمة مدنية. . . فى المساء أبلغنى كل من وزير العدل والنائب العام أنه ليس هناك وسيلة قانونية تمكننا من تحويلهم إلى محكمة عسكرية. . . اتصلت ببن جوريون واتفقنا انه سيعطى تعليمات للجيش بتحويلهم إلى الشرطة. . . وبالمناسبة، هارتسيون . . . وأصدقاؤه الثلاثة جنود مظلات احتياطيون». (٦ مارس ١٩٥٥، ٨١٧).

«[بينما كان الإسرائيليون يحتفلون بأعياد بوريم فى شوارع تل أبيب] وكانت الإذاعة تذيع موسيقى مرحة. . . بعضًا منها يظهر موهبة كبيرة وسموًا روحانيًا ورغبة فى جمال أصلى. جلست أتأمل مكنون ومصير هذا الشعب القادر على هذه الرقة اللطيفة وهذا الحب العميق للناس، وهذا التطلع الصادق للجمال والنبل، وفى الوقت نفسه تتخلل أفضل شبابه القدرة على القتل بشكل مدروس وبالدم البارد، عن طريق ذبح جثث شباب بدو عزل. أى من هذين الروحين الدينيين سيغلب الآخر فى هذا الشعب؟» (٨ مارس ١٩٥٥، ٨٢٣)

«وأخيرًا، تم تحويل الأربعة الى الشرطة ولكنهم الآن يرفضون الكلام . . . هاتفت بن جوريون. . . قال «إنه حقهم الشرعى» . . . [وأضاف] إن اعترافهم للجيش لا يخدم إدانتهم فى محكمة مدنية. من وجهة النظر القضائية قد يكون ذلك صحيحًا، ولكن من وجهة

**نظر الرأى العام فان ذلك يعتبر فضيحة». (١٠ مارس ١٩٥٥، ٨٢٨)**

«اتصل رئيس الشرطة برئيس الأركان، وسأله إن كان الجيش يرغب فى مساعدة الشرطة فى التحقيق . . . قال رئيس الأركان إنه سيسأل وزير الدفاع، ثم أجاب باسمه إنه لا يوافق على إجراء تحقيق فى الجيش . . . من الواضح أن الجيش يعمل على التغطية على الشباب.

إيسر [هارئيل] يشعر أن لا أحد تقريبًا فى البلاد يدين الشباب الذين قتلوا البدو. الرأى العام يقف بجانبهم بلا أدنى شك.

**عندما وصلت الى تل أبيب، جاء ضابط ليقول لى إن كل العملية الانتقامية نظمت بمساعدة فعلية من آرييل شارون، قائد فرقة المظلات. (هو الذى أمر بإمداد الأربعة بالأسلحة والطعام والتجهيزات، وأمر بنقلهم بالسيارة من الوحدة عبر جزء من الطريق، وأمر دوريته بتأمين انسحابهم). والضابط لم ينف أن ديان، أيضا كان يعرف بأمر تلك العملية مسبقا. ذلك فضلا عن أن الأربعة يرفضون الآن الكلام بناء على أمر واضح من آرييل [شارون]، ربما بموافقة دايان. نظمت حملة ضدى لاننى كشفت هويتهم (إلى الصحافة). آرييل يصيح قائلاً إننى عرضت الرجال إلى الانتقام منهم فى حالة وقوعهم أسرى فى حالة اشتراكهم فى الجيش فى أى حروب فى المستقبل. (١١ مارس ١٩٥٥، ٨٣٤).**

«الأربعة على استعداد للاعتراف، بشرط أن يضمنوا العفو». (١٣ مارس ١٩٥٥، ٨٤٠)

**«فى الثلاثينات، قمنا بقمع مشاعر الانتقام وعلمنا الناس اعتبار الانتقام نزوة سلبية تماما. الآن، على العكس، نبرر نظام الانتقام، بناء على اعتبارات عملية . . . لقد استبعدنا كل الوسائل العقلية**

**والمعنوية التى يمكن أن توقف هذه الغريزة وجعلنا من الممكن . . . اعتبار الانتقام قيمة معنوية(١٢) . هذه الفكرة تقتنع بها فئات عريضة من الشعب عامة ، وخاصة أعداد كبيرة من الشباب ، ولكنها تبلورت ووصلت إلى مستوى المبدأ المقدس فى فرقة [شارون]، والتى أصبحت أداة انتقام فى يد الدولة» . (٣١ مارس ١٩٥٥ ، ٨٤٠) .**

أعرب السفير البريطانى ، نيكولس . . . عن دهشته من إطلاق سراح الأربعة . بالنسبة له ، اعتقل الأردنيون قاتل الرجل والمرأة فى عجور . . . التناقض كبير بين الخطوة التى اتخذوها هم ، والعملية المخجلة التى نتبناها نحن! . . كسيه [سكرتير عام ماباى] عرف من ابنه [ضابط عسكرى كبير] أن العملية نفذت بعلم الجيش بالكامل ، على كل المستويات ، بما فى ذلك رئيس الأركان ، وتورط فيها ضباط كبار» . (٢٨ مارس ١٩٥٥ ، ٨٧٠)

فى اجتماع لسكرتارية ماباى فى ١١ يناير عام ١٩٦١ ، بعد مرور ست سنوات ، عاد شاريت إلى هذه الأحداث المزعجة . .

**«الظاهرة ، التى سادت بيننا لسنوات وسنوات هى عدم الإحساس بالأفعال الخطأ . . . بالفساد المعنوى . . بالنسبة لنا ، الخطأ هو فى حد ذاته شيء غير خطير ، فنحن ندركه إن كان هناك تهديد بأزمة أو نتيجة خطيرة بفقدان مكانة ، أو فقدان سلطة أو تأثير فحسب . ليس لدينا توجه معنوى لمشاكل معنوية ، ولكن توجه عملى لمشاكل معنوية . . . فى أحد الأيام ، قام جنود إسرائيليون بقتل عدد من العرب بسبب انتقام أعمى . . . ولم يُعاقب أحد ، لم تخفض رتبة أى ضابط ، لم يطرد أحد من منصبه . ثم كانت هناك كفر قاسم(*) . . . هؤلاء المسئولين لم يستخلصوا أية عواقب . الا أن ذلك لا يعنى بأن الرأى العام ، أو الجيش أو الشرطة ، توصلوا منها**

---

(*) انظر الملحق رقم ٢ .

إلى نتائج ، نتائجهم هم كانت أن الدم العربى يمكن سفكه بحرية .
ثم جاء العفو لهؤلاء من كفر قاسم، وأصبح من الممكن استخلاص بعض النتائج، وأنا أستطيع الاستمرار بالطريقة نفسها . (١١ يناير ١٩٦١، ٧٦٩)

«من الضرورى أن يثير كل ذلك اشمئزاز الرأى العام، فيما يتعلق بالعدالة والصدق؛ كل ذلك قد يجعل الدولة تبدو فى عيون العالم دولة همجية لا تعترف بمبادئ العدالة التى تم تأسيسها، واتفق عليها المجتمع المعاصر» .

* * *

# الفصل السابع

## فضيحة لافون : الإرهاب من أجل الضغط على الغرب

**أولاً :** البدء، فوراً، فى عملية من أجل منع أو تأجيل الاتفاق المصرى ـ البريطانى . الأهداف هى : واحد، مراكز ثقافية وإعلامية ؛ اثنين، المؤسسات الاقتصادية ؛ ثلاثة، سيارات تابعة لممثلين بريطانيين وبريطانيين آخرين ؛ أربعة، أى هدف يؤدى تخريبه إلى الإساءة الى العلاقات الديبلوماسية .

**ثانياً :** أبلغنا عن إمكانيات العمل [التخريب] فى قناة السويس .

**ثالثاً :** استمع إلينا كل يوم فى الساعة السابعة على موجة G .

هذه البرقية المشفرة أرسلتها المخابرات الإسرائيلية إلى شبكة تجسس إسرائيلية تم زرعها فى مصر منذ عدة أشهر قبل تفعيلها فى يوليه عام ١٩٥٤ . كانت مهمة الشبكة فى الأصل، هى خدمة الطابور الخامس خلال الحرب التى ستنشب، فيما بعد . سبق البرقية تعليمات شفهية من الكولونيل بنيامين جيفيى، رئيس جهاز

المخابرات العسكرية الإسرائيلية لضابط تجسس متوجه إلى القاهرة للانضمام الى الشبكة. هذه التعليمات كانت كما يلى:

[هدفنا] هو كسر ثقة الغرب فى النظام [المصرى] القائم... العمليات يجب أن تنتج عنها اعتقالات ومظاهرات ومطالبات بالانتقام. الفاعل الإسرائيلى يجب أن يكون مغطى بالكامل، بينما يتم توجيه الانتباه إلى أى فاعل محتمل آخر. الغاية هى منع مساعدات اقتصادية وعسكرية من الغرب الى مصر. اختيار الأهداف المحددة التى سيتم تخريبها، يجب أن يترك للرجال الموجودين فى الموقع، والذين سيصبح عليهم تقييم العواقب الممكنة لكل عملية... فيما يتعلق بخلق الاضطراب والفوضى العامة. [١٣]

قامت الشبكة بتنفيذ تلك الأوامر، فى الفترة من ٢ إلى ٢٧ يوليه عام ١٩٥٤، وهى الشبكة التى ضمنت عشرة يهود مصريين تحت قيادة عملاء إسرائيليين. كانت المفاوضات بين القاهرة ولندن فى أوجهها من أجل الجلاء عن منطقة القناة، وبين القاهرة وواشنطن من أجل الحصول على إمدادات عسكرية، ومساعدات أخرى، ذات صلة بتحالف محتمل مصرى أمريكى. تم تفجير المراكز الثقافية، والإعلامية البريطانية والأمريكية، ودور عرض سينمائية تملكها بريطانيا، وأيضا مبان عامة مصرية (مثل مكاتب البريد) فى القاهرة والإسكندرية. تم توجيه الشكوك إلى الإخوان المسلمين، خصوم نظام عبد الناصر. ولكن تم أخيراً اكتشاف الشبكة الإسرائيلية، وتم تفكيكها فى ٢٧ يوليه، عندما تم القبض على أحد أعضائها بعد أن انفجرت القنبلة فى جيبه فى الإسكندرية.

فى نفس هذا التاريخ، تم إبلاغ شاريت، الذى لم يكن لديه أدنى فكرة عن الشبكة، بالأحداث، وبدأ يجمع أدلة حول مسئوليات وزارة الدفاع والمسئولين العسكريين. ورغم ذلك لم يفعل أى شىء أكثر من هذا، وحتى ٥ أكتوبر عندما أعلنت القاهرة رسميًا، عن المحاكمة الوشيكة للمخربين الذين تم إلقاء القبض عليهم. فى ذلك الوقت؛ قام شاريت بمساندة الحملة التى أطلقتها إسرائيل لتقديم

القضية، وكأنها مؤامرة يقوم بها النظام المصرى ضد اليهود. فى ١٣ ديسمبر، بعد يومين من بدء المحاكمة فى القاهرة، أدان رئيس الوزراء فى الكنيست، «المؤامرة. . . والمحاكمة المسرحية. . . ضد مجموعة من اليهود. . . ضحايا اتهامات مزورة»(*). وذهبت صحيفة «دافار»، المتحدثة باسم حزبه، إلى حد اتهام الحكومة المصرية بـ «انتهاك سياسة مستلهمة من النازية». وقام الإعلام الإسرائيلى والدولى بنشر قصص مرعبة عن انتزاع اعترافات من المتهمين تحت التعذيب. كان شاريت يعلم بأن كل ذلك لم يكن صحيحا. وكتب يقول فى يومياته فى ٢ يناير عام ١٩٥٥: «فى الحقيقة، باستثناء اليومين الأولين لاعتقالهم، وبعد تعرضهم لبعض الضرب، كانت المعاملة التى تلقاها رجالنا محترمة وإنسانية تماما». على أن شاريت، فى العلن، بقى صامتًا، ولم ينضم إلى الكورس الضخم المناهض لعبد الناصر. وحتى أعضاء الحكومة، ورئيس الدولة، بالإضافة إلى الصحافة، لم يتم إبلاغهم رسميًا وحتى خلال شهر فبراير، عندما تفجرت الإشاعات فى كل ركن من أركان الشارع الإسرائيلى. ثم تكشفت القصة الحقيقية، وهى أن الدعاية الحكومية كانت مضللة، أولها إلى آخرها، وأن الشبكة الإرهابية تم، بالفعل، زرعها فى مصر من قبل الإسرائيليين(**)، والمؤامرة الوحيدة فى المسألة، كانت تلك التى قامت إدارة شاريت باختراعها ضد مصر.

مع انتهاء المحاكمة ـ حكم على اثنين من المتهمين بالإعدام ونفذ الحكم، وحكم على ثمانية بالسجن لمدد طويلة، بينما تمكن ثلاثة من الإسرائيليين الذين قادوا العملية من الهرب من مصر، و انتحر القائد الرابع، وعلم رئيس الوزراء وقائع مهمة أخرى. أما السؤال الفنى عمن قام بالفعل بإعطاء أمر تفعيل الشبكة فى تاريخ محدد، لم يتم الكشف عنه، إلا بعد ست سنوات، عندما قامت لجنة رابعة أو خامسة بتبرئة لافون من تلك المسئولية، وأقرت بأن ديان، وبيريز،

---

(*) انظر الملحق رقم ٤.

(**) احتفلت إسرائيل منذ سنوات قليلة بمرور خمسين عامًا على «عملية لافون»، وبالطبع على رأس المحتفلين والمحتفل بهم كان كل من الإرهابى، قديمًا وحديثًا شمعون بيريز، وآرييل شارون. المترجمة.

وجيفلى وآخرين، أقل شأنًا، مساعدى «أمن» قاموا بتزوير الوثائق، وتحريف الشهادات من أجل إدانة وزير الدفاع. فى الفترة التى امتدت عامى ١٩٥٤ـ ١٩٥٥، توقع شاريت نتائج تلك اللجنة، معتبراً أن القيادة فى المؤسسة الأمنية بالكامل كانت مذنبة فى القضية. بالنسبة له، كان من أعطى الأمر مسألة ثانوية مقابل إدانة عقيدة، وسياسات الإرهاب الإسرائيلى. لذلك، وبينما لم يشك فى ذنب عصابة ديان ـ بيريز ـ جيفلى، إلا أن، بالنسبة لشاريت، كانت مسئولية لافون السياسية أيضا مؤكدة.

> **«[البعض] يسألنى فيما إذا كنت مقتنعا بأنه «هو الذى أعطى الأمر؟». . . ولكن دعنا نزعم أن جيفلى تصرف بدون تعليمات. . . ألا تقع المسئولية المعنوية، رغم ذلك على لافون الذى دعا دوما إلى إجراء عمليات مجنونة، وعلَّم القيادة العسكرية الدرس الشيطانى حول كيف يضرم النار فى الشرق الأوسط؟ وكيف يسبب انقساما ؟ ويسبب مواجهات دموية؟ ويخرب أهدافًا وممتلكات الدول الكبرى [وتنفيذ] عمليات اليأس والانتحار». (١٠ يناير ١٩٥٥، ٦٣٩)**

عند هذه النقطة، كان من الممكن أن يغيِّر شاريت تاريخ الشرق الأوسط. إذا تحدث بصراحة وبمباشرة إلى الرأى العام، الذى كان يشعر باضطراب عميق نتيجة للأحداث فى مصر، والاعتقالات، والمحاكمة والحكم بالإعدام، والإشاعات المتناقضة، ومناخ المؤامرات الذى يحيط بـ «القضية». كان يمكنه بتمزيق قناع السرية، وبإدانة هؤلاء الذين كانوا مسئولين، وبالكشف عن قناعته الحقيقية تجاه عقائد وتوجهات إسرائيل الإرهابية، وبتقديم اقتراح بديل، كان من الممكن أن يخلق لنفسه الظروف التى يتمكن من خلالها استخدام سلطاته الرسمية من أجل القيام بعملية تطهير جذرية فى المؤسسة الأمنية. تأثير مثل هذا العمل كان من الممكن أن يكون كبيرا، ليس فى إسرائيل نفسها فحسب ولكن، أيضًا، فى العالم العربى، خاصة فى مصر. كان من الممكن أن يؤدى سقوط لافون من ناحية، أو

سقوط العصابة الموالية لبن جوريون، والتى يرأسها ديان وبيريز، من ناحية أخرى، إلى منع بن جوريون من العودة الى السلطة، وعلى المدى الطويل، منع حرب سيناء ـ السويس. كان من الممكن أن تأخذ الأحداث منذ ذلك الوقت منحى مختلفًا. (١٤)

لكن، كما حدث، فإن رئيس الوزراء لم يملك الشجاعة ولا الشخصية المطلوبة لمثل هذا العمل. بالإضافة الى أنه كان دائما يخاف من أن تدفع قناعاته «المعتدلة» النشطاء فى الصهيونية العدوانية، إلى اتهامه بالانهزامية. لذلك، تخفى وراء مختلف المزاعم التى تهدف إلى تبرير سلبيته حتى لنفسه، بينما فى قرارة نفسه كان يدرك أن إذعانه الموضوعى لقوانين اللعبة التى فرضها أعداؤه، سوف يفجِّر، فى النهاية، مستقبله هو السياسى. وفى جدال معذب، أكد بأن الاعتراف العلنى بالأحداث سوف يؤذى الأشخاص الذين يحاكمون فى القاهرة؛ أو قد يؤذى صورة إسرائيل فى العالم؛ أو يؤدى إلى انقسام داخل حزب ماباى، حيث يتولى كل من لافون وبن جوريون وهو نفسه الزعامة، مما يتسبب فى أن يفقد ماباى الأغلبية فى الانتخابات التالية. لذلك، وبالضرورة، وجد نفسه، فى النهاية متورطا فى المؤامرات التى قامت الأجنحة المعارضة فى الحكومة، والجيش، والحزب، بحياكتها حوله. ومع حلول منتصف شهر فبراير، لم يكن أمامه خيار آخر إلا الاستسلام لتهديد الصامت الذى وجهه له رجال بن جوريون، ودعا الرجل العجوز إلى العودة مرة أخرى، إلى الحكومة، كوزير دفاع، بدلا من لافون.

مع حلول يناير عام ١٩٥٥، كان شاريت مدركًا تمامًا بأن «القضية» استغلها من ناحية لافون وأصدقاؤه، ومن ناحية ثانية أنصار بن جوريون، وجماعات متطرفة موالية للمؤسسة العسكرية مثل أحدوت هافودا (١٥) من أجل الكشف عن الصراع الدائر بين خط «النشطاء»، وسياسات رئيس الوزراء «المعتدلة». كما تم إبلاغه بأن ديان كان يحاول تنظيم انقلاب عسكرى وأن بن جوريون أكد مساندته له. آخرون عند مفاتحتهم (خاصة من بين الشباب العامل فى حزب ماباى) رفضوا

فكرة تغيير القيادة من خلال العنف. [١٦] أراد ديان تجنب، بأى ثمن، أن تفضحه لجنة التحقيق التى شكلها شاريت، على أساس أنه أحد المسئولين عن «القضية». ومن ناحية أخرى، هدد لافون بأن ينتحر إن أدانته اللجنة باعطاء الأمر.

**«رسم تيدى [كوليك] صورة مخيفة عن العلاقات على رأس المؤسسة الأمنية. كان وزير الدفاع معزولا تماما، فلم يتحدث إليه أى من مساعديه. وخلال التحقيق، تآمر هؤلاء المساعدين [على سبيل المثال، بيريز وديان وعدد من كبار المسئولين وضباط فى الجيش] من أجل تشويه اسمه، وإيقاعه فى الشرك. ألقى القبض على الرجل الذى جاء من الخارج، [قائد الوحدة فى مصر افراهام زايدنبرج، المعروف أيضا باسم «بول فرانك»، أو «فلاد» أو «الرجل الثالث»]، الذى هرب من مصر . . . وأعطوه التعليمات بالتفصيل، كيف يرد على الأسئلة، بما فى ذلك كيف يكذب على المحققين، والتنسيق بين الشهادات المختلفة بحيث يغلق المصيدة على لافون. تيدى على قناعة بأن لافون يجب أن يذهب فورا. كما يجب طرد جيفلى، أيضًا، أما ديان، فلا يجب إيذاءه فى الوقت الحالى». (٩ يناير ١٩٥٤، ٦٣٧).**

**«لم أتصور، أبدًا أننا نستطيع الوصول إلى هذه الحالة البشعة من العلاقات، اطلاق غريزة الكراهية والانتقام، والخداع المتبادل عند رأس وزارتنا، التى تعتبر أكثر الوزارات روعة [وزارة الدفاع].**

**«ظللت أسيرًا فى دائرة مثل المجنون، يتملكنى الرعب، وأشعر بالضياع، عاجز تماما . . . ماذا يجب علىَّ أن أفعل؟ ماذا يجب أن أفعل؟» (١٠ يناير ١٩٥٤، ٦٣٩).**

**«إيسر [هاريل]، رئيس الشين بيت، يشعر بألم حاد، لأن «القضية» قادتها المخابرات العسكرية، بدون تنسيق مع منظمته. قص علىَ**

**قصصًا يندى لها الجبين عن محادثة بادر بها جيفلى معه، حيث اقترح عليه خطف مصريين ليس من قطاع غزة فحسب ولكن أيضًا من قبرص وأوروبا. كما اقترح خطة مجنونة لتفجير سفارة مصر فى عمان، فى حالة قيام محكمة القاهرة بالحكم بالإعدام». (١٤ يناير ١٩٥٥، ٦٥٤).**

رسم شاريت لأهارون باركيت، سكرتير عام الماباى فى ذلك الوقت، الصور التالية عن المؤسسة الأمنية الإسرائيلية:

**«كان ديان مستعدا لخطف طائرات وضباط [عرب] من القطارات، ولكنه صدم عندما قدم له لافون اقتراح قطاع غزة. ماكليف [الذى سبق ديان فى منصب قائد القوات المسلحة] طالب بحرية التصرف لاغتيال الشيشكلى، ولكنه شعر باضطراب عندما وجه إليه لافون أمرًا مجنونًا يخص منطقة نزع السلاح السورية». (٢٥ يناير ١٩٥٥، ٦٨٢)**

**«[لافون] هو الذى ألهم وغذى التوجه المغامر فى الجيش، ونشر العقيدة بأن ليس الدول العربية، ولكن القوى الغربية هى العدو، وأن الوسيلة الوحيدة لتحويلها دون تنفيذ مؤامراتها هو طريق العمل المباشر، الذى سوف يرهبهم». (٢٦ يناير ١٩٥٥، ٦٨٥)**

يشترك بيريز فى نفس الإيديولوجية: فهو يريد أن يخيف الغرب، من أجل مساندة أهداف إسرائيل.

* * *

# الفصل الثامن

## ناصر : التعايش مع إسرائيل ممكن
## رد بن جوريون : عملية غزة

تعليقا على العمليات الإرهابية الإسرائيلية فى مصر، توصل مسئول بالسفارة الأمريكية فى القاهرة، فى ٨ فبراير عام ١٩٥٥، إلى أن «شاريت لا يملك السيطرة على الأمور، إن كان من الممكن تنفيذ مثل تلك العمليات المجنونة» .[(١٧)]

**«كتب رئيس الوزراء بأن وزارة الخارجية الأمريكية خشيت من أن تؤدى العمليات الاستفزازية الإسرائيلية المتوالية إلى تخريب العلاقات الأمريكية مع العالم العربى، خاصة بعد التوقيع على معاهدة أنقرة - [حلف بغداد]. لذلك حاولت الإدارة الأمريكية التحرك فى اتجاهين، فى وقت واحد، حتى تنقذ ما يمكن إنقاذه فى**

**الوضع القائم: وضعت ضغوطًا على عبد الناصر من أجل أن يتفاوض على اتفاقية ما مع حكومة شاريت، وعرضت على الدولة الصهيونية اتفاقية أمنية. أشار رئيس الوزراء الإسرائيلى أن كيرميت روزفلت الابن، الذى يعمل فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، كان يعمل على إقامة اتصالات بين إسرائيل ومصر، وأن شاريت سوف يعين إيجال يادين ممثلاً له». (٢١ يناير ١٩٥٥، ٦٧٥).**

**«[تقابلت مع] روجر بالدوين، مبعوث الرابطة الأمريكية لحقوق الإنسان الذى زار القاهرة. . . تحدث عبد الناصر إليه عن إسرائيل، وقال إنه ليس من بين هؤلاء الذين يريدون أن يلقوا بإسرائيل إلى المتوسط. أنه يؤمن بالتعايش مع إسرائيل، ويعرف أن المفاوضات سوف تبدأ يوما ما». (٢٥ يناير ١٩٥٥، ٦٨٠).**

**«برقية من إيبان. . . الولايات المتحدة على استعداد لأن توقع على اتفاقية معنا، نلتزم على أساسها بألا نوسع حدودنا بالقوة، وتلتزم أمريكا بأن تأتى لمساعدتنا فى حال تعرضنا للهجوم. (٢٨ يناير ١٩٥٥، ٦٩١)**

**«[فيما يخص الاقتراحات التى قدمتها واشنطن [من أجل معاهدة أمنية أمريكية - إسرائيلية] بعثت ببرقية إلى إيبان أقول فيها إننا على استعداد لقبول بند يجبرنا على ألا نوسع حدودنا بالقوة، ولكن لا يجب، بأى حال من الأحوال، أن نلزم أنفسنا بالامتناع عن أى عمل عدائى لأن ذلك سيعنى أن نغلق الباب أمام أية إمكانية للقيام بأعمال انتقامية». (١٤ فبراير ١٩٥٥، ٧٢٦)**

هذه الجملة الأخيرة تشير إلى أن الأنباء عن المقترحات الأمريكية، وعن مفاوضات محتملة بين شاريت وعبد الناصر انتشرت بسرعة فى المؤسسة الأمنية. وبدأ تصعيد الضغوط على شاريت. فى ١٧ فبراير، قبل بن جوريون دعوة رئيس

الوزراء للعودة إلى الحكومة كوزير دفاع. وحسب قول صاحبة المنزل الذى يقيم فيه، دون شاريت فى يومياته فى هذا اليوم قائلا: «ذلك هو نهاية السلام والهدوء». وفعلا، بعد عشرة أيام...

**«وصل بن جوريون... مع... رئيس الأركان، الذى كان يحمل لفائف من الخرائط. فهمت فورا فحوى المباحثات... كان اقتراح القائد الأعلى أن يضرب قاعدة عسكرية مصرية فى مدخل مدينة غزة... [توقع هو] أن تصل خسائر العدو إلى نحو عشرة... وأن علينا أن نكون مستعدين لوقوع بعض الضحايا من جانبنا. أصر بن جوريون أن النية ليست أن نقتل ولكن أن يدمر المبانى فحسب. إذا هرب المصريون بسبب الصدمة، قد لا يكون هناك أية دماء على الإطلاق.**

**وافقت على الخطة. عملية التسلل بالقرب من ريخابوت ـ ٣٠ كيلومترًا من حدود قطاع غزة ـ صدمت الرأى العام وغير مقبول غياب رد الفعل.. فى داخلى كنت أشعر بالأسف أن (الرأى العام) سوف ينسب العملية الانتقامية إلى بن جوريون. ففى النهاية، لقد أقريت بالفعل عملية انتقامية عندما كان بن جوريون خارج الحكومة، ولم تنفذ العملية بالصدفة البحتة. كنت سأوافق على تلك العملية، أيضًا، بغض النظر عن أن بن جوريون هو وزير الدفاع». (٢٧ فبراير ١٩٥٥، ٧٩٩-٨٠٠)**

**«إننى مصدوم. عدد [الضحايا المصريين (مقتل ٣٩ وإصابة ٣٠ بينهم صبى فى السابعة من عمره)] لم تغير أبعاد العملية فحسب، بل جوهرها نفسه أيضا؛ فقد حولتها إلى حدث من شأنه أن يتسبب فى تعقيدات ومخاطر سياسية وعسكرية كبيرة.. صرح المتحدث الرسمى العسكرى، بناء على تعليمات من وزير الدفاع، بتصريحات مغلوطة إلى الصحافة: قامت وحدة من وحداتنا، بعد**

**أن تعرضت لهجوم مفترض داخل أراضينا، ردت بإطلاق النار، واشتبكت فى معركة تحولت فيما بعد إلى ما حدث. من الذى سيصدقنا؟». (١ مارس ١٩٥٥، ٨٠٤)**

نفس القصة تكررت: إضرب واجرى وحاول أن تخدع العالم

**«يجب توجيه تعليمات إلى السفارات لإدانة مصر، وبألا نتصرف من منطلق الدفاع. . . الآن سيسود انطباع عام بأنه بينما نشتكى من عزلتنا، والمخاطر التى يتعرض لها أمننا، نبادر بالهجوم، ونكشف أنفسنا كدولة متعطشة إلى الدماء، ومتطلعة إلى ارتكاب مذابح على نطاق واسع. . . من الممكن أن يفسر هذا الهيجان بأنه نتيجة لغضب الجيش والأمة ضد سياسات القوى الكبرى التى تتجاهل أمن بلادها، وسوف يمنعون استمرار مثل تلك السياسة، إلى النهاية المرة. ونحن علينا على الأقل، أن نعمل من أجل أن يكون ذلك هو الانطباع العام. . . قمت بإملاء برقية إلى السفارات. . . من المرغوب فيه أن تعبر الصحافة عن الآتى: (أ) إن الرأى العام الإسرائيلى أصيب بالاضطراب نتيجة لتسلل عصابة مصرية الى داخل مناطق آهلة بالسكان، وهجومها على المواصلات العامة؛ (ب) يبدو أن الاشتباك تحول إلى معركة جدية عندما وقع تبادل إطلاق النار؛ (ت) تزعم مصر بأنها فى حالة حرب مع إسرائيل، وهو ما تشير إليه من خلال أفعال مثل الاعتقالات والاغتيالات، وإن كانت هناك حالة حرب، تلك هى النتائج؛ (ث) هذا الحدث لا يمكن فصله عن الخلفية العامة من الشعور بالعزلة التى سادت إسرائيل فى ضوء تحالفات الغرب مع الدول العربية، . . . آخر مثال على ذلك معاهدة أنقرة ـ بغداد التى وضحت أهدافها المناهضة لإسرائيل.**

«وآخر نقطة (ث) تحتاج إلى معالجة حذرة للغاية، حيث أنه يجب ألا تنسب (العملية) إلينا، ويجب أن تعهد فقط الى أكثر (المعلقين) ولاء لنا، ويجب تحذيرهم بألا يبدون متأثرين بمصادرنا.

«عندما كتبت تلك الأشياء [التعليمات إلى السفارات] لم أكن أعلم بعد إلى أى حد الأدلة ماحقة ـ تلك التى تم نشرها، بالفعل، والتى تنفى روايتنا الرسمية. الكمية الضخمة من الأسلحة والمتفجرات، التكتيكات فى الهجوم، إعاقة وتلغيم الطرق. . . التنسيق الدقيق للهجوم. من سيكون غبيًا لدرجة تصديق أن مثل تلك العملية المعقدة يمكن أن «تتحول» هكذا من هجوم عرضى ومفاجئ على وحدة عسكرية إسرائيلية تقوم بها وحدة مصرية؟ . . .

«إننى أتعذب بالأفكار فى أن يكون ذلك أكبر فشل لى كرئيس وزراء. من يعلم عواقبه السياسية والأمنية؟» (١ مارس ١٩٥٥، ٨٠٤ - ٨٠٥).

واحدة من العواقب الفورية والمحتومة كانت كالآتى:

«بالأمس. . . دارت مناقشة بين صلاح جوهر [الممثل المصرى الرئيسى فى لجنة الهدنة المشتركة] و[جوزيف] تكواع، أبلغ الممثل المصرى [تكواع] بعد الاجتماع الأخير مباشرة [والذى عقد بُعيد الهجوم على غزة مباشرة. . .] قال له عبد الناصر. . إنه أجرى اتصالا شخصيا مع رئيس وزراء إسرائيل، وأن هناك فرصًا جيدة أن تتطور الأمور بشكل إيجابى، ولكن فى ذلك الوقت وقع الهجوم على غزة، وبالطبع الآن. . انتهى كل شئ.

«يرى لوسون [السفير الأمريكى] أن السبب فى التحذيرات والتهديدات [من الدول العربية] هو الخوف الذى ساد العالم العربى بعد عودة بن جوريون. هجوم غزة فسر على أنه يشير إلى قرار من

**جانبنا بالهجوم على كل الخطوط الأمامية. الأمريكيون، أيضًا، يشعرون بالخوف من أين ذلك سوف يقودنا إلى انفجار فى الشرق الأوسط من شأنه أن يفجر كل خططهم. لهذا السبب، يرغبون فى الحصول منا على التزام نهائى بأن مثل تلك العمليات لن تتكرر». (١٢ مارس ١٩٥٥، ٨٣٧).**

لكن عودة بن جوريون إلى الحكومة كانت تهدف، بالتحديد، إلى منع مثل هذا الالتزام، ولم يكن لديه أية نية فى تغيير فكره. بالعكس، فى ٢٥ مارس، بعد أقل من شهر من الهجوم على غزة، اقترح على الحكومة أن تقوم إسرائيل باحتلال قطاع غزة، هذه المرة احتلالا دائما. استمرت المناقشات خمسة أيام كاملة وانتهت بانقسام الوزراء بين هؤلاء المعارضين للاقتراح، والذى يرأسه شاريت، ومؤيدى بن جوريون. ولقد رفضت الخطة، أو على الأقل تأجلت، بعد أن حصلت على موافقة خمسة أصوات ومعارضة تسعة وامتناع اثنين. أما المعاهدة الأمنية التى عرضتها الولايات المتحدة، فكان لابد من رفضها لأن ـ كما شرح ديان فى أبريل عام ١٩٥٥ ـ سوف تضع القيود على حرية حركة جيشنا». وقدم شرحا مفصلا، فى ٢٦ مايو، خلال اجتماع مع سفراء إسرائيل فى كل من واشنطن (أبا ايبان) وباريس (ياكوف تسور) ولندن (إلياهو إيلات). وقام فيما بعد، كل من ياكوف هيرتزوج وجدعون رفائيل بإبلاغ شاريت بالمحادثة:

**«(قال ديان) إننا لسنا بحاجة إلى معاهدة أمنية مع الولايات المتحدة: مثل تلك المعاهدة سوف تمثل عائقًا لنا. إننا لا نواجه أى خطر على الإطلاق، من تفوق عربى فى القوة خلال الثمانية إلى العشر سنوات المقبلة. وحتى لو حصلوا على مساعدات عسكرية واسعة النطاق من الغرب، فسوف نحتفظ بتفوقنا العسكرى، بفضل قدراتنا الهائلة لدمج أسلحة جديدة. المعاهدة الأمنية سوف تقيِّدنا وتفقدنا حرية الحركة، التى نحتاجها فى السنوات المقبلة. العمليات الانتقامية التى لن نستطيع تنفيذها إن كنا مرتبطين بمعاهدة أمنية، هى**

**شرياننا الحيوى. . إنها تسمح لنا بالحفاظ على مستوى عال من التوتر داخل شعبنا وجيشنا. بدون تلك العمليات لما بقينا شعبًا محاربًا، وبدون انضباط شعب محارب سنضيع. يجب علينا أن نصيح دائمًا أن النقب فى خطر، حتى يذهب الشباب إلى هناك. . .**

**كانت نتائج كلمات دايان واضحة: هذه الدولة ليس لديها أية تعهدات دولية، ولا مشاكل اقتصادية، ومسألة السلام غير واردة. . . عليها أن تحسب خطواتها بشكل ضيق الأفق وتعيش بسيفها. عليها أن ترى السيف كأداة أساسية، إن لم تكن الأداة الوحيدة، التى من خلالها تستطيع الإبقاء على معنوياتها عالية والحفاظ على توترها المعنوى. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، قد تضطر ـ لا، بل يجب عليها ـ خلق الأخطار، ومن أجل فعل ذلك يجب أن تتبنى وسيلة الاستفزاز والانتقام. . . وقبل كل شىء ـ دعونا نأمل فى حرب جديدة مع الدول العربية، حتى نتخلص أخيرا من مشاكلنا ونكتسب المساحة التى نريدها. (مثل زلة اللسان تلك: قال بن جوريون نفسه (المسألة تستحق أن ندفع مليون جنيه لعربى من أجل بدء حرب)». (٢٦ مايو ١٩٥٥، ١٠٢١).**

فى ١٤ أغسطس، إلمر جاكسون، زعيم الكويكر(*)، كان فى زيارة للقدس بعد أن عقد اجتماعا فى القاهرة مع محمود فوزى، وزير الخارجية المصرى، أبلغ شاريت بأن عبد الناصر لا يزال مهتمًا بتطبيع العلاقات مع إسرائيل. فى ٧ اكتوبر، قال الرئيس المصرى نفسه لمبعوث خاص من صحيفة «نيويورك تايمز»، كينيث لوف: «لا يوجد عربى اليوم يقول إننا يجب أن ندمِّر إسرائيل». [١٨]ولكن إسرائيل كانت قد اتخذت قراراتها بالفعل[١٩].

---

(*) طائفة بيوريتانية من البروتستانت، وترجمتها الحرفية «المتزلزلون» من ذكر الله ـ المترجمة.

# الفصل التاسع

## تشتيت اللاجئين الفلسطينيين

سبب واحد مهم لإصرار إسرائيل على الاستمرار فى سياسة الانتقام، تمثل فى رغبة المؤسسة الحاكمة الصهيونية لفرض ضغوط مستديمة على الدول العربية، فى سبيل ترحيل اللاجئين الفلسطينيين من المناطق المتاخمة لخطوط الهدنة، وتشتيتهم عبر العالم العربى. ذلك لم يكن، فى مستهل الخمسينيات، بسبب أية اعتبارات عسكرية: فكما رأينا، وكما توضح عبارة ديان السابقة بجلاء، كانت الحكومة الإسرائيلية مهتمة أكثر بتصعيد التوتر على الحدود عن إخماده. ذلك فضلاً عن أن عدم الاهتمام بأمن حدود الشعب اليهودى كان تشكيكًا [مرتبًا] مثل دعمها نشر شعور بالخطر بين المستوطنين عبر الاستفزاز والدعاية المزورة. كما أن فى تلك السنوات، لم تكن هناك أية حركة مقاومة فلسطينية منظمة. كان كل شيء واضحًا تمامًا، ذلك أن العمليات ذات الطابع الإرهابى والمستوى المنخفض التى كانت تسمح بها النظم العربية، كانت موجهة أكثر إلى خفض التوتر الذى

تصاعد داخل بلادهم، بسبب وجود اللاجئين، وإبقاء القضية على الأجندة فى الساحة الدولية، أكثر مما كانت موجهة إلى الاستعداد لحرب تحرير فلسطين. [٢٠] ولكن وجود اللاجئين الفلسطينيين على طول خطوط الهدنة فى قطاع غزة والضفة الغربية لم يكن تذكرة مستمرة لعدم شرعية احتلال إسرائيل للأراضى فى عامى ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩، وانتهاكها قرارات الأمم المتحدة التى تدعو إلى عودة اللاجئين، ولكن أيضا كانت علامة مميزة حية ومجسدة على طول الحدود، والتى ليس فى نية إسرائيل أن تقبلها كحدود نهائية لتوسعها الحدودى. بمعنى آخر، شرح حكام إسرائيل، أنه طالما ظلت الأعداد الكبيرة للفلسطينيين متمركزة على الأرض الفلسطينية، سيظل هناك خطر ممارسة ضغوط دولية لدعم مطالبتهم بالعودة إلى وطنهم، وأيضًا هناك احتمال ضئيل فى حصول إسرائيل على الموافقة الدولية لإلغاء الفكر الجيوسياسى لفلسطين، تمامًا واستبدالها بفكرة «ايريتس ـ إسرائيل» (أرض إسرائيل التوراتية).

يجب التوضيح بأن عند تلك النقطة لم يختلف موقف شاريت الخاص بالمسألة الفلسطينية، باستثناء ما يخص استخدام الوسائل العسكرية لتشتيتهم، عن موقف «النشطاء». فقد رفض تماما توسلات الكونت برنادوت المستمرة فى عام ١٩٤٨ من أجل عودة جزء من اللاجئين إلى منازلهم (فولك برنادوت إلى القدس، لندن ١٩٥١). بعد عام، سخر من موقف الصهيونيين العموميين الذين كانوا يؤيدون دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية، وضد اتفاق مع الملك عبد الله حول تقسيم الضفة الغربية بين إسرائيل والأردن (ديفرئى، هاكنيست، القدس، ١٩٤٩). فى يوميات شاريت، هناك إشارات عديدة إلى محاولات عقد مفاوضات قام بها مساعدون كبار فى وزارة الخارجية مع ممثلين عرب أو لاجئين، استهدفت إعادة توطين الفلسطينيين فى البلاد الأخرى، مثل ليبيا أو سوريا، أو العراق، (من بين آخرين، مصطفى عبد المنعم، نائب الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية، الذى أشار شاريت، فى ٢٣ مايو عام ١٩٥٤ إلى كلماته، التى أكد فيها أنه «يجب توطين اللاجئين فى الدول المجاورة، أو، إن وجد رأس

المال، ففى سيناء») . فى ٣٠ يونيه عام ١٩٥٤ ، التقى شاريت مع اثنين من ممثلى اتحاد اللاجئين الفلسطينيين، عزيز شحاتة من يافا، ومحمود يحيى من الطنطورة، بخصوص دفع تعويضات . وأخيرا، فى ٢٨ مايو، عام ١٩٥٥ ، عرضت أفكار شاريت بخصوص مسألة اللاجئين الفلسطينيين، بشكل لا لبس فيه، فى تعليماته إلى سفراء إسرائيل بخصوص المعاهدة الأمنية التى عرضتها الولايات المتحدة على إسرائيل، والتى شك وزير الخارجية فى أن تضم بعض الشروط : «قد تكون هناك محاولة للوصول إلى السلام عن طريق الضغط علينا لتقديم تنازلات فى مسألة الأراضى واللاجئين. لقد حذرت [السفراء] من أى فكرة تخص إمكانية إعادة بضعة عشرات الآلاف من اللاجئين، حتى ولو مقابل السلام» . هذا رغم أنه كان معروفا بأن شاريت من الزعماء الصهاينة «الليبراليين»، وزعم بأنه خبير فى المسائل العربية لأنه عاش لمدة عامين، خلال فترة المراهقة، فى قرية عربية فى الضفة الغربية؛ ولأنه يعرف العربية لأنه عاش فى سوريا خلال خدمته العسكرية فى الجيش التركى. بشكل عام، كان موقفه تجاه الفلسطينيين واضحا جدا فى ملاحظة دَوَنَهَا فى يومياته يوم ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٣ . تشير تلك الملاحظة إلى تقرير قدمه، فى ذلك اليوم، إلى اجتماع الوزارة، الكولونيل إسحق شانى، كبير الحكام العسكريين للأقلية العربية فى إسرائيل. (كما هو واضح، هؤلاء الذى يطلق عليهم شاريت صفة المتسللين، كانوا عربًا فلسطينيين طردوا بالقوة، ويحاولون العودة إلى قراهم، أو إقامة اتصالات مرة أخرى مع عائلاتهم، التى بقيت تحت الحكم الإسرائيلى) .

**«خلال السنوات الثلاث الماضية [كتب شانى] توطن ٢٠ ألف متسلل فى إسرائيل، بالإضافة إلى ٣٠ ألف عادوا، فورا، بعد الحرب ... فقط لأن هؤلاء العشرين ألف لم يحصلوا على وثائق دائمة، توقف تدفق التسلل الموجه نحو التوطين. إلغاء الحكومة العسكرية سيعنى فتح مناطق الحدود للتسلل المفتوح، وزيادة حجم التغلغل داخل البلاد. وحتى مع الوضع الحالى، هناك نحو ١٩ الف**

**عربى فى الجليل يملكون تصريحات دائمة للتحرك بحرية، وتحديداً نحـو الغـرب والجنوب، وليس نحـو الشـمـال أو الشـرق. . . إن مشكلة المرحلين التى تثير المشاكل، يجب تصفيتها عبر إعادة توطين دائم، ولكن المهاجرون الجدد [اليهود] يرفضون، بإصرار، استيطان أرض يملكهـا اللاجئـون الذين يعيـشـون على الجانـب الآخـر من الحدود. . . حتى عندما تم بناء منازل من الحجارة لأجلهم، رفضوا الاستيطان فيها، لأنها تم بناؤها على أرض أشخاص غائبين. . . العرب الذين لا يزالون يعيشون على أرضهم يتمتعون بمميزات، حيث إن إنتاجهم يكلفهم أقل كثيراً من إنتاج اليهود. بالإضافة الى ذلك، فهم معفيون من صرف الأموال، وتعيين قوة بشرية للمراقبة ليلاً، لأن المتسللين لا يلمسون أملاكهم. . . يمكن الزعم بأن بعد هذه المحاضرة سيتم إسكات صوت «الصهيونيون العموميون» الذين يطالبون بإلغاء الحكومة العسكرية». (١٥ نوفمبر ١٩٥٣، ١٥٠).**

خلال ١٩٥٣-١٩٥٤، كان شاريت يرجع من وقت لآخر فى يومياته إلى المقترحات التى قدمها بن جوريون، وديان ولافون وآخرون، من أجل توجيه انذارإلى مصر: إما أن تقوم بإخلاء كل اللاجئين الفلسطينيين من قطاع غزة وتشتيتهم داخل مصر، وإلا. إن وصف مناقشات الحكومة فى الأسبوع الأخير من شهر مارس عام ١٩٥٥ حول طلب بن جوريون الخاص باحتلال قطاع غزة، يعطى تفاصيل أكثر:

**«اقتراح وزير الدفاع هو أن تعلن إسرائيل بطلان اتفاقية الهدنة مع مصر، وهكذا تستعيد «حقها» فى تجديد حرب (١٩٤٨-١٩٤٩). . . لقد أدانت المنطق المغلوط فى اعتماد بن جوريون على انتهاك مصر اتفاقية الهدنة، من أجل تبرير الإعلان من ناحيتنا بأن هذه الاتفاقية لم تعد قائمة، وبذلك نسمح لأنفسنا باستئناف الحرب. . . دعنا نزعم بأن هناك ٢٠٠ ألف عربى (فى قطاع غزة)،**

دعنا نزعم بأن نصف هذا العدد سوف يهرب أو سنجعلهم يهربون إلى تلال أريحا. من الواضح أنهم سوف يهربون بدون شئ، وبعد وقت قصير بعد استقرارهم وإقامة مناخ مستقر لأنفسهم، سوف يصبحون مرة أخرى رعاعًا متمردين بلا مأوى. من السهل تصور الغضب، والكراهية، والمرارة والرغبة فى الانتقام التى سوف تشتعل داخلهم . . . ونحن سوف يكون لدينا رغم كل شئ، مئة ألف منهم فى القطاع، ومن السهل أن نتخيل الوسائل التى سنستخدمها من أجل قمعهم، وأى موجات من الكراهية سوف نخلق، مرة أخرى، وأى عناوين رئيسية فى الصحافة العالمية سوف نحصل عليها. الجولة الأولى ستكون: إسرائيل تعتدى على قطاع غزة. الثانية: إسرائيل تتسبب مرة أخرى فى هروب أعداد كبيرة من العرب اللاجئين الخائفين». (٢٧ مارس ١٩٥٥، ٨٦٥)

فى اجتماع ثان للوزارة استمر ست ساعات، استطرد شاريت فى سرد منطقه:

«ما نجحنا فى تحقيقه عام ١٩٤٨، لا يمكن تكراره، كلما رغبنا فى ذلك. اليوم علينا أن نقبل حدودنا الحالية، ونحاول أن نخفض حدة التوتر مع جيراننا من أجل إعداد الأرض من أجل السلام، وتقوية علاقاتنا مع القوى الكبرى . . . وأخيرًا، لقد أثبتت أن احتلال قطاع غزة لن يحل أى مشكلة أمنية، حيث أن اللاجئين سيظلون يمثلون المشكلة نفسها، وحتى أكثر من هذا، حيث أن كراهيتهم سيشعلها السخط التى سوف يعانون منه بسبب احتلالنا الأراضى». (٢٩ مارس ١٩٥٥، ٨٧٣)

«كانت خطبة بن جوريون مليئة بالغضب ضد هؤلاء الذين لا يشاطرونه الرأى، وهؤلاء الذين يقاسمونه الرأى، ولكنهم غير قادرين على رؤية المستقبل الحتمى ولا يستطيعون فهم إننا لن

نتخلص من المشاكل الآن إلا من خلال التحرك الجرىء، إن كان سينفذ فى الوقت المناسب، وقبل ضياع الفرصة. . مشكلة اللاجئين هى بلا شك، مشكلة مزعجة، ولكن رغم كل شىء سوف نطردهم إلى الأردن». (التاريخ نفسه، ٨٧٤- ٨٧٥).

* * *

# الفصل العاشر

## ... ونسقط نظام ناصر

فى اجتماع الوزارة نفسه، وحسب يوميات شاريت عن بن جوريون:

**«حاول أن يثبت أن آمال مصر فى السيطرة على أفريقيا، غربًا إلى المغرب وجنوبًا إلى جنوب إفريقيا، حيث سيستيقظ السود، يومًا ما، ويذبحون مليونى أبيض ثم يسلمون أنفسهم إلى سلطة مصر الأخلاقية. . . ناصر، [قال] قد لا يرد على احتلال قطاع غزة لأن نظامه يقوم على أساس الجيش فحسب، وإن حاول الرد عسكريا فسوف يهزم ونظامه سوف يسقط. من المحتمل ألا تتوجه الدول العربية لمساعدة ناصر على كل حال. وأخيرًا، القوى الغربية لن تتدخل. . . عسكريًا. إنجلترا لن تغزو النقب ـ (وإن قامت بذلك، فسوف نحاربها ونلقى بها الى الخارج بعد إلحاق العار بها. . . ) إن قوتنا تكمن فى فرض الواقع ـ تلك هى الوسيلة الوحيدة لنا لأن**

**نصبح عاملاً سياسيًا يؤخذ فى الاعتبار. ذلك هو التوقيت المناسب، لأن العالم العربى منقسم، ومصر لم توقع بعد اتفاقية مع الولايات المتحدة ولا انجلترا (نفس ما سبق)».**

إن منع التحالف بين الغرب والعالم العربى، خاصة مع أهم دولة عربية ـ مصر ـ كان (وكان يجب أن يبقى) أهم هدف لإسرائيل. ذلك لم يكن له أى علاقة بأمن إسرائيل. بالعكس، كانت سياسة بن جوريون موجهة إلى منع الولايات المتحدة من فرض الضمانات على الدولة الصهيونية . . . مثل تلك الضمانات ستقتضى، بالضرورة، تحقيق الحد الأدنى من الاتفاق بين إسرائيل والعالم العربى (ترسيم الحدود، حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من أجل «إنقاذ ماء الوجه»). أعلن الهدف الأساسى أيضًا بشكل واضح: استخدام القوة كان «الطريق الوحيد» أمام إسرائيل لان تصبح قوة مهيمنة فى المنطقة، مع إمكانية أن تكون فى تحالف مع الغرب. يجب إقصاء ناصر ليس لأن نظامه يمثل خطرًا على إسرائيل، ولكن لأن التحالف بين الغرب وزعامته ذات المكانة العالية، فى العالم الثالث وفى الشرق الأوسط، سوف تقود بالضرورة إلى اتفاق سلام، الذى من ناحيته سوف يؤدى لأن تصبح الدولة الإسرائيلية دولة نسبية ومجرد مجتمع قومى من بين مجتمعات المنطقة الأخرى.

كان من المعروف لدى الإسرائيليين فى ذلك الوقت، أن نظام ناصر لم يكن يمثل أى تهديد لوجود إسرائيل. كتب شاريت يقول:

**«لقد أعربت عن شكوكى فيما يخص نمو قوة مصر العسكرية [والتى قامت إسرائيل بالدعاية لها بشدة] بعد أن رأيت فى هذا العام، أن كل طاقات الجيش [المصرى]، تم استيعابها فى الصراعات الداخلية وبين الخصوم. . . نحو ٥٠٠ ضابط، من بين الأفضل فى الجيش المصرى، تركوا الخدمة العسكرية [بعد أن حل ناصر محل نجيب]، وذهبوا إلى أعمال إدارية وأنشطة سياسية». (٣٠ مارس ١٩٥٥).**

لكن لم يكن الحملة التى شنتها إسرائيل حول العالم علاقة على الإطلاق بالوقائع الحقيقية :

**أعلن بن جوريون [فى اجتماع الوزارة] أن ناصر هو أخطر عدو لإسرائيل، وأنه يخطط لتدميرها . . . ليس واضحًا من أين أتى بتلك الثقة التى [تسمح له] بأن يعبِّر [عن ذلك] بشكل قاطع وحاسم، وكأنها مسألة استندت إلى وقائع قوية». (٢٤ أبريل ١٩٥٥).**

لقد كانت موجهة ببساطة من أجل تعبئة الرأى العام العالمى ضد مصر، والإعداد لأرضية موالية للعدوان العسكرى الإسرائيلى الوشيك. رغم ذلك، فى الوقت نفسه، تلقى المسئولون الإسرائيليون تعليمات بضرورة إقناع الحكومات الغربية بأن عدم استقرار النظام الناصرى يجعله لا يستحق المساعدات والمساندة الغربية. ومثلما يفعلون، دائمًا، عندما يريدون أن تبرر الوسيلة الهدف، لم يكن حكام إسرائيل مهتمين على الإطلاق بالتناقض بين حملاتهم الآنية. من أجل إثبات ضعف ناصر، استدعوا شهادات من مصريين :

**«جدعون رفائيل . . . كتب عن . . . اجتماع مثير مع أحد كبار الرأسماليين المصريين، عبود باشا . . . تبين أن عبود كان صديقًا مقربا من ناصر. ويبدو أنه حافظ وقوَّى مكانته فى ظل النظام الجديد الذى يعتبر عدوا للرأسمالية . . . بناء على قول عبود، فإن وضع عبد الناصر غير مستقر داخل صفوفه نفسها. فهو متوتر بصفة مستديمة، ولا يعرف من يرضى أولاً. زعامة المجموعة منقسمة والصراعات تفجرت بين الضباط، كل منهم يعتمد على مساندة سلاح مختلف من الجيش ـ السلاح الجوى والبحرى والقوات البرية. الوضع غير مستقر، على الإطلاق، ومن الصعب معرفة ما الذى سيحدث». (٣١ يوليه ١٩٥٥، ١١٠٠).**

كما كانت هناك محاولات جديدة للتخريب :

**«جلست مع جوش بالمون . . . للاستماع إلى تقرير عن استمرار المفاوضات مع زعماء حزب الأمة السودانى . . . أحدهم سوف يزور إسرائيل، قريبًا . هناك احتمالات أخرى لتنمية الاتصالات التجارية بيننا وبينهم . من الضرورى أن تفصل السودان نفسها عن التبعية الاقتصادية لمصر، ومن مجال تأثيرها .**

**«إننا نعمل على الحفاظ على الاتصالات مع أعضاء الوفد [الحزب الليبرالى الوطنى المناهض لناصر] الذين يعيشون فى المنفى فى لندن» . (٣ اكتوبر ١٩٥٥)**

بدت إدارة أيزنهاور منقسمة . العناصر الموالية للعرب فى وزارة الخارجية، بناء على قول شاريت، كانوا لا يزالون يضغطون من أجل إقامة تحالف غربى ـ عربى فى الشرق الأوسط، واعتبر أن اتفاقية بين واشنطن والقاهرة ضرورية لأمن واستقرار المنطقة، وذلك حسب كلمات وزير خارجية إسرائيل . ولكن الضغوط الإسرائيلية كانت تأتى بثمارها بسرعة . فبعد سنوات من الاتصالات والمفاوضات، تقلصت المطالب المصرية لصفقة أسلحة دفاعية، إلى مجرد هدية شخصية إلى اللواء نجيب فى شكل مسدس مزخرف لحمله فى المناسبات، وهو ما كشف عنه محمد حسنين هيكل فيما بعد، وذلك بينما كان العدوان العسكرى الإسرائيلى يزداد فى قوته من يوم ليوم . لم تكن هناك مساعدات اقتصادية تصل مصر من الغرب . وتلاشى التزام جون فوستر دالاس بمساعدة مصر فى بناء السد العالى . لقد تعرضت القاهرة للإهانة، بينما لم تؤد اعتذارات الغرب الشفهية، بعد الهجوم الإسرائيلى المدمر ضد غزة، إلى التأثير بأى شكل، على استعدادات إسرائيل لحرب شاملة . قدم بن جوريون خطابًا عامًا فى ٨ أغسطس، حيث انتقد سياسة شاريت، على أساس إنها تهدف لإرضاء الأجانب وتتجه نحو تدمير الدولة . وأعلن أن من ذلك اليوم فصاعداً ستنحصر مهمة الخارجية فى تفسير سياسات وزارة الدفاع الأمنية إلى العالم . تلك العوامل أسهمت فى القضاء على

آخر أوهام القاهرة. ومع نهاية شهر سبتمبر عام ١٩٥٥، وقعت مصر على اتفاق تسليح مع تشيكوسلوفاكيا، هدف إلى تأمين بقائها ودفاعها عن نفسها.

في أول أكتوبر

**«أحضر تيدى [كوليك] برقية سرية من واشنطن. (شريكنا) وأعطى له اسم مشفر «بن» [كيرميت روزفلت فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. . .] يصف الفوضى الشديدة التى سادت فى وزارة الخارجية الأمريكية تحت صدمة صفقة ناصر ـ التشيك «أى، الروس». (هنرى) بايرود وكل الآخرين الذين كانوا موالين لمساندة أمريكا لمصر، فقدوا النطق تمامًا. وأضاف قائلا: (إننا مندهشون لصمتكم). عندما سأل رجلنا عن معنى تلك الكلمات، وإن كان المتوقع منا أن نحارب؟، كانت الإجابة: (عندما تصل الأسلحة السوفييتية، وقمتم بضرب مصر، فلن يعترض أحد). (١ أكتوبر ١٩٥٥، ١١٨٢)**

فى الاجتماع الوزارى فى ٣ أكتوبر، وصل بن جوريون لأن يعلن:

**«إن حصلوا، بالفعل، على طائرات ميج. . فسوف أعيد قصفهم بالقنابل! إننا قادرون على القيام بذلك!» فهمت أنه قرأ البرقية التى جاءت من واشنطن. البذرة المتوحشة سقطت فى أرض خصبة. (٣ اكتوبر ١٩٥٥)**

**«إيسر [هاريل، رئيس شين بيت] توصل هو، أيضًا، إلى أن الولايات المتحدة تلمح لنا بأنه بالنسبة لهم، لدينا حرية الحركة وليباركنا الله إن تصرفنا بجرأة. . . الآن. . . الولايات المتحدة مهتمة بإسقاط نظام عبد الناصر. . . ولكنها لا تجرؤ، فى الوقت الحالى على استخدام وسائل استخدمتها فى إسقاط حكومة جاكوبو**

**اربينى اليسارية فى جواتيمالا [١٩٥٤]، ومصدق فى إيران [١٩٥٣]. . إنها تفضِّل أن تقوم إسرائيل بعملها.**

**«لهذا السبب، اقترح إيسر، جديا وبإلحاح . . . أن ننفِّذ خطتنا الخاصة باحتلال قطاع غزة، الآن . . . الوضع يتغير، وهناك أسباب أخرى من شأنها أن تحدد أنه (الوقت المناسب للتحرك) أولاً اكتشاف البترول بالقرب من القطاع . . . حمايته تتطلب السيطرة على القطاع ـ هذا وحده يستحق التعامل مع مسالة اللاجئين المثيرة للمشاكل. ثانيًا، خيانة مصر للغرب. هذه الحقيقة تستبعد خطر تدخل مسلح للقوى الكبرى ضدنا». (نفس التاريخ، ١١٨٦).**

بعد عام واحد بالضبط، احتلت قوات ديان قطاع غزة، وسيناء، ومضيق تيران وانتظمت صفوفه على طول ساحل قناة السويس، لمتابعة مشهد القصف الجوى الفرنسى البريطانى للإسماعيلية والسويس، ترافقها عملية إنزال سريعة للقوات على منطقة القناة. قبل ستة أشهر، ونتيجة لقرار شخصى من بن جوريون، أقصت الحكومة شاريت. واستعاد الرجل العجوز رئاسة الحكومة، فى نوفمبر عام ١٩٥٥، بعد شهر واحد من «الضوء الأخضر» الأمريكى من أجل قيام إسرائيل بغزو مصر. نظمت حملة خبيثة هامسة تظهر وزير الخارجية وكأنه غير قادر على الحصول على الأسلحة الضرورية للدفاع عن إسرائيل. كان المناخ السائد حول خروج شاريت من الحكومة ذا معنى:

**«. . . . [حول] مائدة [فى اجتماع الوزارة] جلسوا جميعًا فى صمت. لم يرفع أى من زملائى رأسه لينظر إلىَّ. لم يقف أى منهم لمصافحتى، رغم كل شئ. بدا وكأن كل قدراتهم الجديرة أصيبت بالشلل، وكأنه تم سحب حرية الحركة من أجسادهم، وانتزعت من قلوبهم حرية التعبير، وحرية الحركة المستقلة من ضمائرهم. جلسوا بثقل يحدقون فى صمتهم. وهكذا سرت بطول صالة الاجتماعات، وغادرت المكان». (١٨ يونيه ١٩٥٦).**

فى الأشهر التالية فوضت الولايات المتحدة فرنسا لأن تحول إلى إسرائيل طائرات ميراج التى كانت مخصصة لمساعدة حلف الأطلنطى. فى وقت الهجوم على السويس، تظاهرت أمريكا بالدهشة، وحتى بالسخط. ولكنها فرقت، بوضوح بين انجلترا وفرنسا، المزاحمين فى الصراع بين القوى الإمبريالية من أجل النفوذ فى الشرق الأوسط، وإسرائيل. وطلب الرئيس إيزنهاور من بريطانيا وفرنسا الانسحاب الفورى من مصر خلال ساعات. ولكن انسحاب إسرائيل من غزة وسيناء تأجل أربعة أشهر، وتم بفضل الضغوط القوية التى مارسها الاتحاد السوفييتى الذى هدد بإغراق الغرب بتعقيدات حول السلام العالمى لم يشهد لها مثيلاً من قبل. إسرائيل، مع تفويض وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى جيبها، حصلت على الظروف المواتية لإقناع الرأى العام بـ «احتياجاتها الأمنية» فى تلك الحرب الإجرامية. وهكذا أصبحت هناك سابقة، التى تعنى أن الانسحاب من قطاع غزة وسيناء كان مسألة تكتيكية فحسب، كما اثبتت حرب ١٩٦٧، فيما بعد.

موسى شاريت، الملقب بالصهيونى المعتدل، افترض طوال حياته أن بقاء إسرائيل سيكون مستحيلاً بدون مساندة الغرب، واعتقد بأن ما يطلق عليه أخلاقيات الغرب، وكذلك مصالحه الموضوعية فى الشرق الأوسط، لم تكن لتسمح للغرب بمساندة دولة يهودية «تتصرف حسب قوانين الغاب»، وتصعِّد الإرهاب إلى مستوى المبدأ المقدس. وأجاب على ديفيد هاكوهين، زعيم الماباى البارز، الذى أعلن أنه مقتنع بأن على الإسرائيليين أن يتصرفوا فى الشرق الأوسط وكأنهم مجانين، من أجل إرهاب العرب وابتزاز الغرب: إن كنا سنتصرف كمجانين، فسوف نعامل كمجانين ونوضع فى مصحة عقلية وننعزل عن العالم.

لكن خصومه أثبتوا خطأه، وبالتالى وجهوا ضربة مدمرة لشخصيته، وأيضًا للفرض نفسه بالصهيونية المعتدلة. ما أثبتوا صحته هو أن افتراضه العقلانية لم يكن وهمًا، فحسب، بل أيضًا، غير واقعى. فى التحليل الأخير، ترك الغرب،

وخاصة الولايات المتحدة، نفسه للخوف أو الابتزاز، وساند طموح إسرائيل الذى يكمن فيه جنون العظمة، لأن هناك بالفعل علاقة موضوعية من المشاركة فى الجريمة، ولأنه طالما دفعت مرة إلى العلانية، فقد أثبتت تلك المشاركة فى الجريمة بأنها قادرة على خدمة سياسات القوى الغربية فى المنطقة. (٢١) تماما مثل الصهيونية، التى قامت على أساس نزع الصفة الفلسطينية عن فلسطين وتهويدها، هى فى جوهرها عنصرية وغير أخلاقية، فالغرب فى الواقع، لم يكن بحاجة لدولة يهودية فى الشرق الأوسط لا تتصرف حسب قوانين الغابة، ولا يمكن الاعتماد على إرهابها كأداة أساسية لقمع شعوب المنطقة. كان هناك منطق حتمى ومتناسق فى تلك المعادلة المكتسبة حديثا، والتى سوف تحدد مسيرة الأحداث فى المستقبل:

**«اننى أكرر لنفسى دائما، فى تلك الأيام: اعترف انك الخاسر! لقد أظهروا جسارة وديناميكية أكبر بكثير... لقد لعبوا بالنار، وكسبوا. اعترف بأن البيان النهائى لحرب سيناء إيجابى. باستثناء التقييمات الأخلاقية، فإن أهمية إسرائيل السياسية فى العالم صعدت بشكل هائل... وأنت بقيت وحيدا. معك فقط ابنك كوبى. الرأى العام، حتى الرأى العام الذى كان يواليك، لا يشاركك موقفك. على العكس... الرأى العام اليوم تحول حتى ضد «أساتذته» ومرارته ضد الانسحاب من سيناء [من سيناء وقطاع غزة] يتطور ليتحول إلى توجه من أجل تغيير التوازن السياسى فى هذه البلاد لصالح بيجن». (٤ أبريل ١٩٥٧).**

* * *

# الملاحــق

١ ـ عملية قبية

٢ ـ ... ثم كفر قاسم

٣ ـ بعد قليل سيتحول الغناء إلى أنين الموت

٤ ـ فضيحة لافون

٥ ـ صحيفة إسرائيلية تكشف عن محاولة الحكومة وقف نشر إرهاب إسرائيل المقدس

# ملحق (١)

## عمليـة قبيـة

صيغة بن جوريون لعملية قبية، أذاعها راديو إسرائيل فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٣، كما سجلتها «دافار» فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٣ .

( . . . ) مستوطنو الحدود [اليهودى] فى إسرائيل، أغلبهم من اللاجئين، مواطنون من الدول العربية، وناجون من معسكرات النازية، ظلوا لسنوات هدفا ( . . . ) لهجمات قاتلة وأبدوا تحفظًا كبيرًا. ولقد طلبوا، عن حق، أن تقوم حكومتهم بحماية حياتهم وأعطتهم الحكومة الإسرائيلية الأسلحة ودربتهم على حماية أنفسهم.

لكن القوى المسلحة من الضفة الشرقية لم توقف عملياتها الإجرامية، إلى أن فقد [السكان] فى بعض المستوطنات الحدودية صبرهم، وبعد قتل أم وطفليها فى يهودا، هاجموا فى الأسبوع الماضى قرية قبية عبر الحدود، فقد كانت واحدة من

أهم مراكز عصابات القتلة . كل واحد منا يأسف ويعانى عندما يسفك دماء فى أى مكان ، ولا أحد يأسف أكثر من الحكومة الإسرائيلية للواقع بان أبرياء يُقتلون فى العملية الانتقامية فى قبية . ولكن المسئولية كلها تكمن مع حكومة الضفة الشرقية التى تسامحت لسنوات ، وبالتالى شجعت هجمات قتل وسرقة تقوم بها قوى مسلحة فى بلادها ضد مواطنى إسرائيل .

حكومة إسرائيل ترفض بشدة الصيغة المضحكة والخيالية ، وكأن ٦٠٠ جندى شاركوا [فى العملية] ضد قبية . لقد قمنا بتحقيق دقيق ، ووجدنا أنه لم تغب أية وحدة عسكرية ، ولا حتى أصغرها عن قاعدتها فى ليلة الهجوم على قبية .

* * *

# ملحق (٢)

## ثم كفر قاسم...

عشية حرب سيناء عام ١٩٥٦، أمر العميد الإسرائيلى شادمى، قائد دورية على الحدود الإسرائيلية ـ الأردنية، حظر التجول ليلا على قرى «الأقلية» [العربية] التى تقع تحت قيادته. تلك القرى تقع داخل الأراضى الإسرائيلية؛ لذلك فإن سكانها مواطنون إسرائيليون. بناء على سجلات المحكمة (أحكام محكمة المقاطعة، النائب العسكرى ضد الميجور ميلينكى)، أخبر شادمى قائد وحدة حرس الحدود، الميجور ميلينكى، أن حظر التجول يجب أن يكون صارمًا بشدة «وأنه» لن يكفى إلقاء القبض على هؤلاء الذين كسروا الحظر، بل يجب «إطلاق النار عليهم». أضاف: «رجل ميت (أو فى روايات أخرى «بضعة رجال») أفضل من تعقيدات الحجز».

تستمر تسجيلات المحكمة:

(ميلينكى) أبلغ الضباط المجتمعين أن الحرب بدأت، وأن وحداتهم أصبحت، الآن، تحت قيادة جيش الدفاع الإسرائيلى، وأن مهمتهم صارت فرض حظر التجول فى قرى الأقليات من الساعة الخامسة مساء وحتى السادسة صباحًا، بعد إبلاغ المخاتير [العمد] بذلك فى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر. بالنسبة إلى مراقبة الحظر، أكد ميلينكى أنه ممنوع الإضرار بالسكان الذين بقوا داخل منازلهم، ولكن أى شخص يوجد خارج منزله (أو، حسب شهود آخرين، أى شخص يترك منزله أو أى شخص يكسر الحظر) يجب أن يُقتل بالرصاص. وأضاف أنه لن تكون هناك اعتقالات، وانه إن قتل عدد من الأشخاص خلال الليل (بناء على الشهود: لقد كان مطلوبا أن يقتل عدد من الأشخاص) حيث أن ذلك سوف يسهِّل فرض الحظر خلال الليالى التالية.

... بينما كان يحدد سلسلة الأوامر تلك، سمح الميجور ميلينكى للضباط بطرح أسئلة. سأله اللفتاننت فرانكنانتال «ماذا نفعل بالقتلى؟» (أو حسب شهود آخرين: (بالمصابين؟) أجاب ميلينكى: «لا تعيروهم اهتمامًا» (أو حسب أدلة أخرى: «يجب ألا يتم نقلهم» أو حسب شاهد ثالث: «لن يكون هناك مصابون».) أريح منشيس، قائد قسم، سأله بعد ذلك: «ماذا عن النساء والأطفال؟» ورد ميلينكى قائلا: «ليس هناك مكان للعواطف» (حسب شاهد آخر: «يجب أن يعاملوا كأى شخص آخر، الحظر ينطبق عليهم أيضا») ثم سأل منشيس سؤالا ثانيا: «ماذا عن الأشخاص العائدين من عملهم؟». هنا حاول الكساندرونى أن يتدخل، ولكن ميلينكى أسكته وأجاب قائلا: «يجب معاملتهم مثل أى شخص آخر» (حسب شاهد آخر، أضاف: «الأمر سيكون سئ بالنسبة لهم، كما قال القائد»)

فى محضر وقائع الجلسة الذى كتب ووقع عليه ميلينكى بعد أن وقع على سلسلة من الأوامر، ظهر ما يلى:

... بدءًا من اليوم، فى الساعة ١٧٠٠ يفرض حظر التجول فى قرى الأقليات وحتى ٠٦٠٠، وكل من يعصى هذا الأمر سوف يقتل رميا بالرصاص.

بعد هذا الإعداد النفسى، والتعليمات التى أعطيت الى الشرطة ـ الجنود «لإطلاق النار وقتل كل من ينتهج الحظر» توجهت الوحدة الى قرية كفر قاسم لبدء عملها :

أول من قُتل بالرصاص عند المدخل الغربى للقرية، أربعة من العاملين فى المحاجر كانوا عائدين من مكان عملهم بالقرب من بتاح تيكفا، وراس العين، على دراجاتهم. بعد قليل من بدء الحظر؛ جاء هؤلاء الرجال الأربعة إلى الطريق بدراجاتهم. وعندما ابتعدوا نحو عشرة إلى خمسة عشر متراً فى الطريق نحو المدرسة، أُطلق عليهم الرصاص من الخلف على مسافة قريبة، من اليسار. اثنان من الأربعة (أحمد محمود فريج وعلى عثمان طه، يبلغان ٣٠ عامًا) قتلوا فى الحال. الثالث (محمد محمود فريج، شقيق أحمد فريج) أصيب فى الفخذ والذراع، بينما الرابع، عبد الله سمير بدر، نجا بإلقاء نفسه على الأرض. وقعت دراجة المصاب عليه وغطت جسده، واستطاع أن يرقد بلا حراك خلال الحادث الدموى الذى وقع حوله. بعد ذلك زحف إلى حقل أشجار زيتون، ورقد تحت شجرة زيتون، حتى الصباح. أطلق الرصاص مرة أخرى على عبد الله عندما خرج من الطريق إلى الرصيف، حيث شهق، وتظاهر بأنه قتل. بعد المذبحتين التاليتين اللتين وقعتا بجانبه، خبأ نفسه بين قطيع من الخراف، قتل راعيه، وهرب إلى قرية مع القطيع . . .

بعد وقت قصير من عملية القتل هذه، جاء راع وابنه، البالغ من العمر ١٢ عامًا، من الحقل مع القطيع. اقتربا من المنحى عند الطريق من المستوطنة اليهودية ماشا. توجه القطيع إلى الطريق حتى وصل إلى مدرسة القرية، وقام الراعى بقذف الخراف التى شردت عن القطيع بالأحجار لإعادتها إلى طريق ماشا. أطلق جنديان أو ثلاثة، كانوا يقفون عند الطريق، النار على مسافة قصيرة على الراعى وابنه وقتلاهما. كانت إسماهما : عثمان عبد الله عيسى، ٣٠ عامًا، وابنه فتحى عثمان عبد الله عيسى، ١٢ عامًا.

**ملاحظة:** ترجمة مضبطة المحكمة نشرها صبرى جريس فى مجلة «العرب»، فى إسرائيل (مجلة شهرية ١٩٧٦) قال جريس فى الختام : «فى الساعات الأولى من الحظر، ما بين الساعة الخامسة والسادسة مساء، قتل رجال حرس الحدود الإسرائيليون ٤٧ مواطنًا عربيًا فى كفر قاسم».

# ملحق (٣)

## بعد قليل سيتحول الغناء الى أنين الموت

ما يلى أجزاء من يوميات مائير هار- تزيون، نشرها ليفين إبشتاين، فى تل أبيب، عام ١٩٦٩ . تصف غارة إسرائيلية فى غزة فى بداية الخمسينيات:

مجرى النهر الواسع والجاف، يتلألأ فى نور القمر. نتقدم، بحذر، بطول منحدر الجبل. يمكن رؤية عدد من المنازل. تتمايل الشجيرات مع النسيم، تلقى بظلالها على الأرض. على البعد، نرى ثلاثة أضواء ونسمع صوت موسيقى عربية تأتى من المنازل التى غمرها الظلام. انقسمنا إلى ثلاث مجموعات كل مجموعة ضمت أربعة رجال. توجهت مجموعتان إلى معسكر اللاجئين الضخم جنوبى موقعنا. المجموعة الأخرى سارت نحو المنزل الوحيد، الذى يرقد فى المسطح، شمال وادى غزة. تقدمنا سيراً على الأقدام، دسنا على المزارع الخضراء، وغصنا فى مياه القنوات. بينما القمر يغرقنا بنوره المتلألئ. إلا أن بعد قليل، سيكسر الصمت صوت طلقات الرصاص، والإنفجارات وصراخ

هؤلاء الذين ينامون بهدوء وسلام الآن . نتقدم بسرعة وندخل أحد المنازل «من هذا؟» .

نقفز نحو الأصوات . يقف عربيان يرتجفان من الخوف عند جدار المبنى . يحاولان الهرب . افتح النار عليهما . صوت صراخ حاد يشق الهواء . أحد الرجلين يسقط على الأرض ، بينما صديقه مستمر فى العدو . الآن يجب أن نتحرك ، ليس لدينا وقت نضيِّعه . بدأنا نتحرك من منزل إلى منزل ، بينما يحاول العرب الهرب فى فوضى . تنطلق أصوات الآلات العسكرية ، أصواتها تختلط بالصياح البشع . نصل إلى الطريق الرئيسى فى المعسكر . يتزايد أعداد العرب الهاربين . المجموعة الثانية تهاجم من الجانب المعاكس . تتردد أصداء تفجيرات القنابل اليدوية عن بعد . تلقينا أمرا بالانسحاب . الهجوم انتهى .

فى صباح اليوم التالى ، كتبت الصحف فى العناوين الرئيسية : «وقع هجوم على مخيم البريج للاجئين بالقرب من غزة . كان المخيم يستخدم كقاعدة للمتسللين إلى الأراضى الإسرائيلية . قتل عشرون شخصًا وأصيب عشرون آخرون» .

. . . خط تليفون يقف عائقًا فى طريقنا . قطعناه واستمرينا فى التقدم . طريق ضيق يقودنا عبر منحدر التل . يتقدم الطابور فى صمت . قف ! تتساقط بضع أحجار من التل . فجأة رأيت رجلاً يراقب الصمت . أعدت بندقيتى . يزحف جيبلى نحوى ، «هار ، أرجوك ، سكين !» تلألأت أسنانه المطبقة على بعضها فى الظلام ، جسده كله مشدود ، وعقله متيقظ ، «أرجوك» . . . . رقدت على وجهى واستليت المنجل . زحفنا نحو الرجل الوحيد الذى بدأ يغنى نغمًا عربيًا مرتعشًا . عما قليل سيتحول الغناء إلى أنين الموت . إننى أرتعش ، كل عضلة فى جسدى توترت . هذه أول تجربة لى مع هذا النوع من الأسلحة . هل سأستطيع أن أقوم بالمهمة؟

اقتربنا . ها هو يقف ، على بعد بضعة أمتار أمامنا . قفزنا . أمسك جيبلى به وأنا أغمدت السكين فى عمق ظهره . الدماء تتدفق على قميصه القطنى المخطط .

وبدون أن أضيع أية ثانية، تصرفت غريزيًا، وقمت بطعنه مرة أخرى بالسكين. الجسد يتأوه، يقاوم ثم يهدأ ويتوقف عن الحركة.

في حديث مع مائير هار ـ تزيون، في ملحق صحيفة هاآرتس الأسبوعي، يوم ٩ نوفمبر عام ١٩٦٥:

«وخز الضمير؟ لا. لماذا أشعر بوخز الضمير؟» فتح الرجل عينيه الزرقاوين، في دهشة. «من السهل قتل رجل بالبندقية، فأنت تضغط على الزر، وينتهي كل شيء. ولكن السكين، ذلك شيء آخر! ـ تلك هي المعركة الحقيقية. حتى ولو كنت ناجحًا، تصبح قريبًا من الموت. سكين العدو يصبح قريبًا منك قرب الهواء. إنه شعور رائع. تدرك بأنك رجل!».



# ملحق (٤)

## فضيحة لافون

الصيغة العلنية التى قدمها موسى شاريت حول «قضية لافون» فى بيان أمام برلمان إسرائيل (ديفرئى ها ـ كنيسيت، الاجتماع رقم ٥١٤، يوم ١٣ ديسمبر عام ١٩٥٤):

الرئيس الموقر، أعضاء الكنيست. المحكمة التى بدأت قبل يومين فى مصر ضد ١٣ يهوديا، تثير قلق الجميع، وتعيد إلينا مشاعر مضطربة ومرارة عميقة فى البلاد [إسرائيل] وفى كل العالم اليهودى. نعم بالتأكيد، إنها تسبب قلقا وخوفا فى قلوب كل الشعوب حول العالم التى تسعى إلى العدالة. لقد قامت لجنة وزارة الخارجية والأمن بالفعل بالتعامل، وسوف تتعامل أكثر، مع تلك القضية الجادة. ولكن فى الوقت الحالى، أشعر بأن على أن أقدم تصريحا قصيرا. فى خطابى أمام الكنيست فى ١٥ نوفمبر، قلت «تصرفات مصر التى خرجت عن

السيطرة . . لا تبين . . . أن قيادتها . . . تسعى إلى تقارب معتدل وسلام . يمكن تقدير إلى أى مدى مصر بعيدة عن تلك الروح [الاعتدال والسلام] من المؤامرة التى حيكت فى الإسكندرية ، ومن المحكمة المسرحية التى تم تنظيمها هناك ضد مجموعة من اليهود أصبحوا ضحايا اتهامات ملفقة بالتجسس ، والذين ، فيما يبدو ، تعرضوا للتهديد والتعذيب من أجل الحصول منهم قهرا على اعترافات بجرائم خيالية» . هذا الافتراض الكئيب تم التحقق منه وتكشف أنه حقيقة قاسية وصادمة ، من خلال التصريحات التى أدلت بها المتهمة فيكتورين نينيو فى المحكمة العسكرية فى القاهرة ونشر هذا الصباح . [بناء على تلك التصريحات] . . . تم تعذيبها خلال التحقيق الذى جرى قبل المحاكمة ، ومن خلال التعذيب حصلوا منها على اعترافات غير صحيحة عن جرائم لم تحدث . الحكومة الإسرائيلية اعترضت بشدة على تلك الممارسات ، التى تحيى فى الشرق الأوسط الوسائل التى كانت تستخدمها محاكم التفتيش فى العصور الوسطى . حكومة إسرائيل ترفض بشدة الاتهامات الملفقة التى وجهها النائب العام المصرى ، والتى تحيل إلى السلطات الإسرائيلية أفعال بشعة ومؤامرات شيطانية ضد أمن وعلاقات مصر الدولية . من هذا المنبر اعترضنا عدة مرات فى الماضى على تعرض اليهود للاضطهاد وتوجيه اتهامات ملفقة لهم فى مختلف الدول . أننا نرى فى اليهود الأبرياء الذين اتهمتهم السلطات المصرية بتلك الجرائم القاسية ، ضحايا لعداء خبيث للدولة الإسرائيلية والشعب اليهودى . إن كانت جريمتهم أنهم صهاينة وموالون لإسرائيل ، فان ملايين اليهود حول العالم يشاركون فى تلك الجريمة . إننا لا نظن أن حكام مصر يريدون أن يكونوا مسئولين عن سفك دماء اليهود . إننا ندعو كل هؤلاء الذين يؤمنون بالسلام ، والاستقرار والعلاقات الإنسانية بين الشعوب ، أن يمنعوا ظلما قاتلا .

* * *

# ملحق (٥)

## صحيفة إسرائيلية تكشف عن محاولة الحكومة وقف نشر إرهاب إسرائيل المقدس

فيما يلى أجزاء مهمة من مقال كتبه عضو كنيست إسرائيلى، يورى أفنيرى، ونشر فى هاعولام هازيه، فى ٢٣ سبتمبر عام ١٩٨٠، بعنوان «يوميات شاريت للعرب». الكتيب يستخدم مقاطع من يوميات شاريت من أجل إلقاء الضوء على ثمانى قضايا وقعت خلال الخمسينات. لقد قامت ليفيا روكاش بعمل نظيف. كل المقاطع التى استخدمتها حقيقية. لم تحاول أبدا إخراجها عن النسق العام، ولم تشر إليها بشكل يتناقض مع نية كاتب اليوميات. الى أى شخص يشعر بألفة مع الدعاية الإسرائيلية، فقد يكون لمثل تلك المقاطع تأثير الصدمة. . . من خلال استخدام مقاطع منتقاة من يوميات شاريت، يتعامل بحثها التاريخى بالتفاصيل مع القضايا التالية:

١ ـ **المقاطع الخاصة بالممارسات الانتقامية** من شاريت تشير إلى أن تلك الممارسات لم تنفذ أبدا بهدف الانتقام، كما أريد لها أن تبدو، ولكنها كانت نتيجة لسياسات متفق عليها بين ديفيد بن جوريون وموسى ديان. تلك السياسات استهدفت تسخين الوضع عند الحدود، كوسيلة للإعداد للحرب، وكمبرر لإخلاء المنطقة وتفريق اللاجئين الفلسطينيين الذين عاشوا فى معسكرات بالقرب من الحدود. تكشف المقاطع من كتاب شاريت، أيضًا أن الرئيس اسحق بن زفى كان يأمل فى هجوم مصرى لتبرير احتلال إسرائيل لنصف سيناء. يكشف شاريت، أيضًا، أن الحوادث التى وقعت على الحدود السورية كانت، أيضًا نتيجة لمبادرة إسرائيلية. ويصف شاريت بالتفاصيل الأسباب وراء حمَّام الدم الذى ارتكبته الوحدة رقم ١٠١، تحت قيادة آرييل شارون فى قرية قبية، حيث قتل ٥٦ مزارعًا عربيًا بريئًا. كما يسرد كيف قررت الحكومة نشر بيان ملفق أظهر هذا الحادث كعملية موالية لحزب نفذها مدنيون «مستوطنون».

٢ ـ **الخطة لاحتلال جنوب سوريا**، كشف شاريت أن بن جوريون وديان وبنحاس لافون طلبوا، فى فبراير عام ١٩٥٤ استغلال سقوط الديكتاتور السورى، أديب الشيشكلى، باحتلال جنوبى سوريا، وضمها إلى إسرائيل. كما طلبوا شراء ضابط سورى يستطيع أن يحصل على السلطة فى دمشق، وإقامة حكومة تابعة موالية لإسرائيل. هذه الأشياء تبدو اليوم أكثر حداثة فى ضوء تدهور وضع حافظ الأسد [وقت صدور الدراسة] والتصريحات الإسرائيلية فى هذا الخصوص.

٣ ـ **النية فى تقسيم لبنان**، يكشف شاريت أن بن جوريون اقترح بالفعل فى فبراير ١٩٥٤ عملية إسرائيلية واسعة النطاق من أجل تقسيم الدولة اللبنانية وإقامة دولة مارونية ـ مسيحية فى أحد أقسامها. وتم إجراء مناقشات مطولة نتيجة لهذا الاقتراح. وقام بن جوريون بشرح مطوَّل للخطة فى رسالة لشاريت، ورد شاريت، فى رسالة طويلة حيث عارض الخطة بشدة، كان بن جوريون

على استعداد لأن يستثمر أموالا كبيرة لرشوة الزعماء المسيحيين فى لبنان. كما كشف شاريت أن رئيس الأركان أيد خطة شراء ضابط جيش لبنانى، يستخدم كتابع، ويعمل على أن يبدو تدخل الجيش الإسرائيلى استجابة لطلب منه لتحرير لبنان من الخضوع للمسلمين. فى عيون قارئ اليوم؛ تلك الخطة تبدو مشروعا دقيقا لما وقع فى لبنان فيما بعد ـ الحرب الأهلية، إقامة مقاطعة مارونية تابعة للميجور سعد حداد، وأطلق عليها اسم «لبنان الحر».

٤ ـ **قضية هار ـ تزيون**، سرد شاريت كيف قتل مائير هار ـ تزيون فى الوحدة رقم ١٠١، بيديه خمسة من البدو الشباب الأبرياء إنتقاماً لمقتل شقيقته التى عبرت الحدود الأردنية خلال إحدى نزهاتها على الأقدام. بالإضافة إلى ذلك، يسرد شاريت كيف غطى كل من آرييل شارون، وموسى ديان على الفعل الكريه، وكيف أحبط بن جوريون القرار بتحويل هار ـ تزيون وأصدقائه للمحاكمة.

٥ ـ **قضية لافون**، يصف شاريت بشكل مطول العملية البغيضة فى مصر. ألحقت ليڤيا روكاش بالكتاب كيف غطى شاريت الحقيقة حول القضية، خطابه نفسه الملئ بالأكاذيب، والذى ألقاه فى الكنيست حيث ادعى أن الاتهامات ضد هؤلاء الذين أدانتهم محكمة القاهرة، حرض عليها معاداة السامية ودعوة إلى القتل. القارئ الإسرائيلى الذى يقرأ المقاطع من يوميات شاريت، والتى نشرتها صحيفة «معاريف» على حلقات، أو حتى المجلدات الثمانية لليوميات نفسها، لا يمكن أن يصدم مما اكتشف، برغم كل قسوته. على أية حال، فإن تأثير هذا الكتاب فى الخارج سيكون، بالضرورة أكثر حدة. بالطبع، غياب تدخل قانونى من جانب مكتب وزير الخارجية الإسرائيلية منع انتشار الكتيب على نطاق واسع. المنظمة العربية الأمريكية التى نشرت الكتيب ليس لديها الإمكانات المطلوبة لنشره على نطاق واسع، خاصة عندما تواجه مؤامرة الصمت التى فرضها الإعلام الأمريكى الموالى لإسرائيل...

## الهـوامش

(١) فى يومياته، كتب شاريت عن مشاوراته مع السفير الإسرائيلى لدى البرازيل، ديفيد شيلتيل، بخصوص توطين نصف مليون لاجئ فلسطينى فى تلك البلاد ـ مئة ألف «فى المرحلة الأولى». أعرب شاريت عن حماسه للمشروع.

(٢) المفاوضات الخاصة بتطبيق خطة الأمم المتحدة التى تم الموافقة عليها لتقسيم مياه نهر الأردن بين إسرائيل وسوريا والأردن، قادها فى ذلك الوقت إيريك جونستون المبعوث الخاص للرئيس أيزنهاور، ولكن إسرائيل كانت تقترب بسرعة من إنجار مشروعها الخاص بتحويل المياه. لم يتم التوصل إلى أى اتفاق.

(٣) فى سبتمبر عام ١٩٧٩، فى حوار بالإذاعة وبعد نشر يوميات شاريت، سأل مواطن إسرائيلى آرييل شارون عن المذبحة، حيث قتل ٦٩ مدنيًا. وكان شارون هو الذى قاد بنفسه عملية قبية، وكان عضوا فى حزب ماباى فى الخمسينيات حسب قول شاريت، وهو اليوم وزير فى حكومة بيجين [فى وقت كتابة روكاش للدراسة]، مسئول عن احتلال الضفة الغربية وقطاعغزة. ونشر تقرير فى صحيفة «دافار» الناطقة باسم الهستادروت، حول ذلك النقاش الذى دار فى الإذاعة، يوم ١٤ سبتمبر عام ١٩٧٩، وأعطى التقرير التعليقات التالية:

مسئولية قتل ٦٩ مدنيًا فى قبية، حسب قول شارون، تقع على عاتق الضحايا أنفسهم. فى هذا الوقت كان السكان العرب قد تعودوا على أن الجيش يصل إلى حدود القرية فحسب، ويفجِّر منزلاً واحدا فقط، ويغادر المكان. لذلك، كان السكان يبقون فى منازلهم. وهكذا، فإن أى محاولة للزعم بأن فى قبية وقعت عمليات قتل بالدم البارد للنساء والأطفال، يجب أن توصف بأنها اتهامات عارية تمامًا من الصحة.

قرر شارون شخصيًا أن يعطى لهذه العملية صفة نشطة. فأعطى تعليمات بحمل ٦٠٠ كيلوجرام من المتفجرات، وحدد ٤٥ منزلاً فى القرية لتفجيرها، كانت من بينها المدرسة. القوة المنفِّذة لم تعرف أن السكان كانوا يختبئون فى المخازن والأدوار العليا. وتم تفجير المنازل، بعد بحث سطحى فى الدور الأرضى. لذلك كان عدد الضحايا عاليًا بهذا الشكل.

كانت قبية، حسب كل الأدلة، خطأً مأساويًا. وكان يمكن لقائد أكثر حذرًا، أن يتجنبها. لو كان شارون قد تغير إلى الأفضل، منذ ذلك الحين، لكان قال اليوم إنه آسف. ولكنه لم يفعل.

هاجم نحوم بارنيا، رئيس تحرير «دافار»، شارون بلا مواربة، ولكن فى الحقيقة كان من الواضح أنه يهدف إلى تبرير العملية الدموية. قبية لم تكن «خطأً مأساويا» ولكن، جريمة مع سبق الإصرار والترصد، كما يثبت محتوى قصة شارون. فبالإضافة إلى ذلك، تلقى جنود

شاريت، قبل التوجه إلى التنفيذ، وصفًا دراميًا لحادث سابق فى ياهود (قرية عربية أعيد تسكينها بيهود إسرائيليين) حيث قتلت إمرآة. استغلت ياهود كمبرر للهجوم على قبية، برغم أنه كان معروفًا أن قبية لم يكن لها علاقة بالحادث السابق. من الواضح أن النية كانت إثارة مشاعر الجنود من أجل القضاء على أكبر عدد ممكن من المدنيين، وألا يشعرون بأى وخز ضمير لقتلهم نساء وأطفالا. والدليل على ذلك، أن عند عودته من قبية، قدم شارون تقريراً عن عدد الضحايا، مشيراً إلى أنهم ما بين عشرة واثنى عشرة، وقال فى البرنامج الإذاعى الذى أشير إليه مسبقا: «لقد قمنا بإحصاء عدد القتلى العسكريين فحسب، الجنود من الموقع العسكرى فى المنطقة الأردنية».

(٤) فى ذلك الوقت، كانت إسرائيل تقوم فعليًا بإغراق العالم بالدعاية، حيث صورت نفسها على أنها مهددة ـ بشكل كارثى ـ فى وجودها اليومى من القوة العربية المتزايدة. كما أنه من الواضح أن المعلومات التى كشف عنها سابقًا، تم إبلاغها سرا إلى زعماء الصهاينة الأمريكيين، الذين أصبحوا متورطين فى استراتيجية إسرائيل ذات الوجهين. استخدام تعبير «ايريتس إسرائيل الغربية» يوضح ذلك. فالتعبير يلمح إلى أنه بعكس البيانات الرسمية التى يصدرونها فى ذلك الوقت، فإن فكرة «ايريتس إسرائيل الشرقية» (أى الأردن) لم يتم أبدا استبعادها من القاموس السياسى للزعامة الإسرائيلية.

(٥) انظر صحيفة هاآرتس، بتاريخ ٢٩ يونيه عام ١٩٧٩، حيث نشر تعليق على موجة حديثة من الأعمال الإرهابية فى سوريا، واتهم فيها الإخوان المسلمون: «إن اتخذت سوريا صفتها السنية، مرة أخرى، كما كانت قبل صعود حزب البعث والعلويين إلى السلطة، فإن فرص جديدة ومتنوعة قد تفتح أمام إسرائيل، ولبنان، وكل الشرق الأوسط. فى ضوء مثل هذا الاحتمال، يجب على إسرائيل أن تبقى فى حالة ترقب ويقظة: يجب ألا تضيع فرصة قد لا تتكرر مرة أخرى». بعد ربع قرن، الصيغة نفسها استخدمت مرة أخرى. بشكل عام، فإن، بمتابعة الصحف الإسرائيلية عن قرب خلال عام ١٩٧٩ سنجد أنها ترجح أن إسرائيل تنشر مرة أخرى جهودها فى اتجاهات متنوعة من أجل إسقاط نظام الأسد، وإقامة نظام فى دمشق مواليًا لسياسات إسرائيل. قال لنا أحد السياسيين الإسرائيليين فى سبتمبر عام ١٩٧٩: «إسرائيل تهدف إلى تنصيب سادات فى دمشق».

(٦) ذلك لا يعنى، بالطبع، أنه لم يكن هناك تحالف بين إسرائيل والولايات المتحدة قبل ١٩٦٧. خلال الخمسينيات كان التعاون وثيقا بشكل خاص بين خدمات إسرائيل الخاصة ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وبالطبع، ليس بالصدفة، أن بعد قيام القيادة الإسرائيلية بوضع الخطوط العريضة للخطط التى تهدف إلى إثارة الاضطراب فى لبنان، قامت الولايات المتحدة، كما قال مدير وكالة المخابرات المركزية ويليام كولبى فى شهادته أمام اللجنة الفرعية حول اللاجئين فى مجلس الشيوخ فى يوليه ١٩٧٦ـ «بإمداد المسيحيين فى لبنان بالأسلحة فى الخمسينيات، وذلك فى إطار استخدام الأقليات الدينية والعرقية فى الحرب ضد الشيوعية».

ورغم ذلك، ابتداء من صيف عام ١٩٥٦، وعبر الستينات، كانت إسرائيل تعتمد على فرنسا فى إمدادها بالأسلحة، ولم يكن من الممكن أن تعمل علانية ضد رغبات فرنسا. إن نهاية الحرب الاستعمارية الفرنسية ضد الجزائر، وتصاعد نفاد صبر ديجول، مع عنجهية إسرائيل، أدى إلى وضع حد للعلاقات الخاصة الفرنسية ـ الإسرائيلية فى عام ١٩٦٧، واستبدلت بها علاقات متميزة بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

(٧) عمليات القتل الجماعى المنتظمة التى تقوم بها إسرائيل فى لبنان منذ أكثر من عشر سنوات، والتى وصلت مؤخراً إلى درجة من القسوة النابية لا مثيل لها فى التاريخ المعاصر، باستثناء عمليات أمريكا فى الهند الصينية، ليس لها تبرير بأى شكل كان. فى ضوء الوثائق التى قدمناها، مزاعم إسرائيل بأنها تعمل للدفاع عن نفسها وللدفاع عن مسيحيى لبنان ضد إرهاب منظمة التحرير الفلسطينية، أصبحت مضحكة، كما هى مهينة. هذا الزعم يسانده بشكل مستمر الإعلام والحكومات الغربية. ومما لا شك فيه، أن ممثل إسرائيل الدائم فى الأمم المتحدة، ايهودا بلوم، اعتمد ساخراً على جهل العامة عندما قال: «مشاكل لبنان الأساسية تعود إلى عدة سنوات. الوضع فى الجنوب يجب أن يعتبر كنتيجة ثانوية لها فحسب، ومجرد أعراض لتلك المشكلة» (ذا نيشن، ١٥ سبتمبر ١٩٧٩). تلك كانت الطريقة التى وصف بها مذبحة إسرائيل للسكان المدنيين والهجمات اليومية الأخرى، والدمار والتعذيب الذى قام به المارونيون التابعون لإسرائيل تحت قيادة الميجور سعد حداد، واستخدموا فيه أسلحة صنعت فى الولايات المتحدة وتحت حماية إسرائيلية.

(٨) ألمح شاريت إلى أن الإسرائيليين حصلوا سراً على التقرير. كما أشار إلى إمكانية أن يكون هاتشيسون ينوى الإشارة إلى عناصر من أرجون، تعمل ضد حكومته، ثم استبعد هذا الافتراض. فى هذه المسألة، من المهم التذكير بأن الجدل الذى دار فى الكنيست (ديفرئى هاكنيست هاشنيا، صفحة ٦٥٤) فى ٢٥ يناير عام ١٩٥٥، هاجم متحدث باسم حيروت، يدعى أريى آلتمان، الحكومة بسبب «ضعفها»، وأضاف: «إن لم تذعن الحكومة لواجباتها فى مجال الأمن، لا تدهش إن واجهت يوماً ما بظواهر مدهشة من المبادرات الخاصة، وليس مبادرة واحدة، بل أخرى معقدة ومتشعبة...». فى كتابه «ميسترائيم فيهاأ فدائيين (انظر ملاحظة رقم ٢٠) ذكر ايهود ياآرى وجود مجموعة إرهابية فى ذلك الوقت تعمل فى مناطق الحدود تحت اسم «مجموعة تدمر»، والتى «لا يوجد تفاصيل كثيرة عنها بعد»، كما يقول. الكشف عن تلك المعلومات تشير إلى وجود تعاون وثيق، فى ذلك الوقت، على مستوى العمليات السرية، بين منظمتى أرجون وشترن الصهيونيتين الإرهابيتين، اللتين تأسستا قبل إقامة الدولة، والتى تم حلهما، رسميًا فى عام ١٩٤٨، ولكن فى الحقيقة استمرتا فى العمل عسكريًا وكجيش نظامى، أو كوحدات «أمنية»، مثل المليشيات، ووحدة ١٠١ التابعة لشارون. ويتذكر يا أرى أن الأخيرة تلك «كانت تنفذ عملياتها «التسلل» بدون دعاية إلى داخل قطاع غزة... وتنفذ عمليات، مثل الهجوم على معسكر البريج للاجئين، الذى يقع بالقرب من غزة، فى ٣١ أغسطس عام

١٩٥٣ . «البحث أكثر فى تلك المسألة قد يكشف عن أن حجم عمليات الاستفزاز العدائية التى قامت بها القوات الإسرائيلية عبر خطوط الهدنة، كانت أكبر كثيرا عما كان معروفًا فى العلن. بالرغم من ذلك، فإن أهم مظهر لتلك العلاقات يكمن فى معناها السياسى، والذى يوفر مفتاحا جديدا تماما لتفسير تاريخ الدولة الصهيونية. فى الحقيقة، إنهم يمثلون رفضا حاسما للأطروحة المقبولة والتى تشير إلى أن انقساما واضحا، عرف بعداء أيديولوجى وسياسى وعملى، وجد على الأقل حتى عام ١٩٦٥ بين الصهيونية العمالية، وما أطلق عليه «الصهيونية غير العقلانية» ذات الأصول «التصحيحية».

(٩) أطلقت إسرائيل حملة قاسية بشكل خاص حول معاليه هانكرايم، وجددت الحملة فى الوقت نفسه، وكمبرر لها، فى الهجوم الذى شنته فى عام ١٩٥٦ ، على مصر.

(١٠) ان استخدام التعبير الملطف «انتقام»، فى إطار العمليات التى سوف تنفذ حسب خطة وضعت مسبقا، تشبه الوصف الذى اعطاه ديان لسياسة «معاقبة». ويعيد هذا التعبير كل تلك التعبيرات الملطفة التى استخدمت فى حرب فيتنام («تهدئة»، «تحييد»، «فيتنمة»)، واستخدم التعبير حتى وقت قريب لوصف مذابح إسرائيل فى لبنان.

(١١) اليوم شارون وزير الزراعة فى حكومة بيجين [عن صدور دراسة روكاش]، ومسئول عن احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة. كان شارون قائد الوحدة ١٠١ ، المعروفة بقسوتها، والتى اشتركت فى عمليات ضد السكان المدنيين عبر خطوط الهدنة. فى حوار دار مؤخرًا، بالإذاعة (انظر ملاحظة رقم ٣)، سأل أحدهم شارون عن تلك الفترة. فقال شارون «بالنسبة لمائير هارتسيون أردت أن أقول: من المؤسف أنه لم يعد هناك رجالاً مثله، بما يمثله من ولاء وحب لوطنه، ومساهمته لرفع مستوى القتال فى الجيش الإسرائيلى. إنه لمن العار أن رجلاً حارب، وحارب من أجلكم أيضًا، تصفونه بأنه قاتل». (دافار، ١٤ سبتمبر ١٩٧٩)

(١٢) يجب التنويه إلى أن تعبير «الإرهاب» لم يكن منتشرا فى تلك الأيام. وفى الحقيقة، فقد كان شاريت يستخدم كلمة «الانتقام» و«الانتقام الأعمى». من الواضح أنه كان يبحث عن كلمة تتوافق مع استخدام اليوم لكلمة «الإرهاب».

(١٣) أعيد نشر النصَين من بنود لجنة التحقيق أولشان ـ دورى فى «القضية» التى لحقت باليوميات، صفحات ٦٥٩ ، ٦٦٤ .

(١٤) فى رسالة إلى بن جوريون، بتاريخ ٦ مارس عام ١٩٦١ أكد شاريت: «لماذا رفضت فى ذلك الحين الموافقة على طرد بيريز؟ لأن استبعاده، فى تلك الفترة، قد يفسر على أنه إقرار بأن زعامة المؤسسة الأمنية الإسرائيلية كانت مسئولة عن العمليات المتوحشة فى القاهرة» (صفحة ٧٨٩). عامة، هناك القليل المعروف خارج إسرائيل عن «القضية» وتشعبها المعقد وما تنطوى عليه والذى أفسد وأثر فى الحياة السياسية الإسرائيلية لسنوات. لذلك فمن المفهوم أنه حتى صحفى ممتاز مثل ديفيد هيرست يمكن أن يُخدع، ليظن بأن لافون شارك خط شاريت المعتدل (البندقية وغصن الزيتون، لندن: دار نشر فوتورا، ١٩٧٦). فى الحقيقة، كان لافون

من النشيطين المتحمسين، الذين لم يضيِّعوا فرصة لتشجيع استخدام العنف، وذلك كان السبب الذى من أجله تركه بن جوريون، عندما غادر الحكومة الى سديه بوكر، ليكون مسئولاً عن وزارة الدفاع «تبعه». وإن كان بن جوريون قد بدأ، فيما بعد، يشك فى أن عبر حماسه النشط، كان لافون يسعى، أيضًا، لأن يحل محله على رأس المؤسسة الأمنية. وهكذا، تصاعدت المنافسة المعقدة التى ضمت هذين العضوين فى رئاسة ماباى، وكذلك، تورط فيها ورثة بن جوريون الأصغر، خاصة بيريز وديان، كل لأسبابه ولطموحاته الخاصة.

(١٥) أحدوت ها عافودا، التى كان من بين أفضل زعمائها المعروفين إيجال ألون، وإسرائيل جاليلى، اتحدت مع ماباى فى الستينات، لتشكل حزب العمل.

(١٦) تاريخ محاولات تنظيم انقلابات عسكرية فى إسرائيل هو، أيضًا غير معروف جيدا خارج حدودها. فى عام ١٩٥٧، وقعت إحدى تلك المحاولات التى تآمر فيها مجموعة من الضباط الذين رغبوا فى منع الانسحاب من قطاع غزة وسيناء، والذى وافق عليه بن جوريون على مضض تحت ضغوط دولية قوية. فى نهاية مايو عام ١٩٦٧، اضطر رئيس الوزراء ليفى إشكول، تحت تهديد انقلاب عسكرى، أن يعين موسى ديان، عضو الكنيست فى المعارضة، فى حكومته، وزيراً للدفاع، وبذلك يصبح متفقا بشكل نهائى، مع قرار الجيش فى شن الحرب.

(١٧) هذا التعليق كتبه لويس جونز، مساعد بالسفارة فى مصر، والذى قال عنه شاريت إنه «يعتبر صديق شخصى لناحوم جولدمان، وتيدى كوليك، وهو معروف جيدا لنا لمعاملته العادلة لإسرائيل». ولقد أعرب جونز، أيضًا عن رأيه بأن اعتراضات إسرائيل على أحكام مصر يجب ألا تؤخذ بجدية: «حتى وإن كان سيشنق [حكم بالإعدام] أحد منهم فلن تكون كارثة [للإسرائيليين. . . ] حيث إنها قد تساعد [الإسرائيليين] فى جمع المزيد من الأموال فى الولايات المتحدة». ١٨ فبراير ١٩٥٥، صفحة ٧١٢).

(١٨) (٧ أكتوبر ١٩٥٥، صفحة ١١٩٧). انظر أيضا كينيث لوف، السويس (ماكجرو- هيل، ١٩٦٩). سرد شاريت قصة كيف نسبت برقية من وكالة أنباء سابقة حول حديث مع لوف، إلى ناصر جملة «يجب أن ندمر إسرائيل». لم يصدق شاريت أن يكون ذلك صحيحا، واعترف أنه شعر بالارتياح عندما وصلته برقية تصحح البرقية السابقة، وأكد على رأيه فى سياسات ناصر التوفيقية.

(١٩) مقارنة مفصلة للحقائق السابقة مع، من بين أشياء أخرى، حساب وتحليل الأحداث التى وقعت فى تلك الفترة كما قدمها ناداف سافران فى كتابه «إسرائيل ـ الحليف المحارب» (كامبريدج: دار نشر جامعة هارفارد. ١٩٧٨) ستلقى ضوءاً مهمًا على التحريف الذى لا يزال مستمراً فى تخلل التأريخ المستلهم من الصهيونية إلى يومنا هذا. حسب قول سافران، فإن موقف ناصر تغير، فى عام ١٩٥٥ «من شخص معتدل بشكل واضح، الى شخص بدا مصمما على. . . قيادة الدول العربية فى هجوم على إسرائيل»، و«الرغبة الواضحة للدول

العربية لقبول الدولة اليهودية» تغيرت فى منتصف الخمسينيات إلى «التزام بالقضاء على تلك الدولة.» (انظر أيضا ملحوظة رقم ٢٠).

(٢٠) انظر أبو إياد «فلسطينيون بلا هوية» (باريس: ١٩٧٩) وايهود يعرى، «ميتسرائيم فى ها فيدائيين» (جيفات هافيفا، ١٩٧٥). الأول كتبه أحد كبار الشخصيات فى منظمة فتح، يعطى سرداً مباشراً، من تجربته الشخصية، عن القمع المصرى لمحاولات اللاجئين الفلسطينيين فى غزة لكى ينظموا خلايا مقاومة. والثانى، يضم مجموعة مختارة من الوثائق التى قامت المخابرات الإسرائيلية بالاستيلاء عليها، خلال حربى ١٩٥٦ و١٩٦٧ فى قطاع غزة وسيناء والضفة الغربية، والتى تظهر الجهود التى تبذلها حكومات كل من مصر، والأردن، لقمع أى محاولات تسلل إلى إسرائيل، والسيطرة على الحدود، وكبح مطالب الشعب من أجل الحصول على إجراءات دفاع مناسبة لحماية أنفسهم ضد التغلغل الإسرائيلى، بما فى ذلك طلب توزيع الأسلحة. فيما يلى النقاط الأساسية التى تدل على ذلك والموجودة فى وثائق يعرى:

فى نهاية عام ١٩٥٣، أبلغت الإدارة المصرية لغزة وزير الحربية فى القاهرة عن إلقاء القبض على متسللين والعمل على إغلاق الطرق المؤدية إلى الحدود. فى الوقت نفسه كانت قوات الشرطة والجيش تعمل فى معسكرات اللاجئين التى كانت قد تعرضت لهجوم من إسرائيل من أجل تفريق المتظاهرين الذين يطالبون بالأسلحة ويحتجون على الخطط لتوطين اللاجئين الفلسطينيين فى مناطق بالقرب من العريش. ومع نهاية عام ١٩٥٣ تم تشكيل قوة حرس مدنى خاصة من أجل السيطرة على معسكرات اللاجئين الفلسطينيين. فى عام ١٩٥٤ جرى تعزيزها. «ليس هناك وثيقة مصرية واحدة [من بين الوثائق التى تم الاستيلاء عليها واختبارها] التى تتحدث بشكل إيجابى عن التسلل أو عمليات التخريب. بالعكس، فقد عكست كلها سياسة رسمية من الكبح والتعليمات القوية لهذا الهدف»، وذلك حسب ما توصل إليه يا يعرى. ذلك تأكد أيضاً من مصادر أخرى:

الجنرال ى. ل. بيرنز، الذى كان رئيساً لقوة المراقبين التابعين للأمم المتحدة فى الشرق الأوسط، قال فى كتابه بين العرب والإسرائيليين (لندن: ١٩٦٢) بأن ناصر أبلغه فى نوفمبر عام ١٩٥٤ أنه أراد أن يسود الهدوء قطاع غزة.

كيث ويلوك، فى كتابه «مصر ناصر الجديدة» (لندن ١٩٦٠) كتب يقول: إنه كان «واضحا أن الحكومة المصرية ترغب فى تجنب الإشتباكات عند الحدود، حتى وإن كان ذلك لمجرد أن الخطة الكبرى للتنمية الداخلية لم تترك إلا مصادر محدودة من أجل دعم الجيش المصرى».

من بين الوثائق التى قدمها يا يعرى، هناك، أيضًا مذكرة لاجتماع عقد فى مكتب الحاكم المصرى فى قطاع غزة، يوسف العجرودى، فى ٢٩ يناير عام ١٩٥٥، شهر قبل الهجوم الإسرائيلى على غزة، حيث أشار إلى أنه تم اتخاذ قرار بالإجراءات التالية بهدف السيطرة على الحدود، وهى من بين الإجراءات الأخرى:

* منع المواصلات من غروب الشمس وحتى الفجر فى المنطقة شرقى طريق غزة ـ رفح، بما فيها مخيم جباليا للاجئين.
* أمر بفتح النار على أى متسلل. كل المخاتير (عمداء القرى) طلب منهم أن يبلغوا عن الأشخاص المفقودين من قراهم أو قبائلهم. يجب إصدار تحذيرات عبر الإعلام ضد التسلل. عليهم إقامة معسكر حجز للأشخاص المشتبهين فى التسلل، ولكنما من دليل كاف ضدهم، لتحويلهم إلى المحاكمة.
* وقف توزيع حصص الطعام على اللاجئين الذين لا يظهرون بأنفسهم للحصول على الحصص. وأخيراً، حسب يايعرى:

كان الهجوم الذى قام به الجيش الإسرائيلى على غزة فى ٢٨ فبراير عام ١٩٥٥ . . . نقطة تحول حاسمة فى العلاقات بين إسرائيل ومصر. تحدث ناصر وعدد كبير من الديبلوماسيين الغربيين والمحللين، على أنها نقطة تحول فى سياسات القاهرة. وشرح ناصر بنفسه الظروف العديدة التى جعلت الهجوم يعتبر لحظة حقيقة، حين فهم أنه ليس هناك فرصة لخط [التسوية]، الذى تبنته مصر حتى ذلك الوقت. وأخيرا، أدرك أبعاد المشكلة الإسرائيلية. ولذلك دعا إلى التسلح من الاتحاد السوفييتى. . .

عملية غزة وقعت فى وقت من الهدوء النسبى الذى جاء بعد تقوية إجراءات القمع التى قررتها الإدارة المصرية فى القطاع. وهكذا، فانه يجب البحث عن تفسير لقرار بن جوريون بإعطاء أمره بالهجوم. . فى مكان آخر.

أدى الهجوم الإسرائيلى على غزة إلى انطلاق مظاهرات ضخمة فى القطاع، ووقعت اشتباكات بين السكان المحليين والجيش المصرى. واستمرت المظاهرات بسبب استمرار الاستفزازات الإسرائيلية، وفى مايو اضطرت الحكومة المصرية إلى الموافقة على أنشطة وحدات الفدائيين التى تقوم بأعمال تخريب فى إسرائيل. وعلى أية حال، كانت تلك الوحدات تقع تحت السيطرة القوية للجيش المصرى بحيث يمكن الحد من نشاطها مرة أخرى بعد عدة أشهر. وتوصل يايعرى إلى أن: «فى أية حال، ليس هناك شك فى أن ظهور الفدائيين تحت توجيه مباشر من المصريين، ظاهرة صعدت نتيجة للهجوم الإسرائيلى على غزة».

مما يستحق التنويه هنا، أن الوثائق التى قدمها يايعرى تضم أيضًا معلومات تفصيلية عن عمليتين إرهابيتين قامت بهما المخابرات الإسرائيلية، فى يوليه عام ١٩٥٦ . فى الحالتين قتل ضباط مصريين برتب عالية عندما انفجرت طرود، على شكل كتب. فى الحالة الاولى، كان الضحية البكباشى (المقدم) مصطفى حافظ، قائد المخابرات الحربية المصرية فى قطاع غزة. ذكرت الوثائق أن مصطفى حافظ كان يعترض على التسلل إلى إسرائيل، وأيضًا على ضم الفلسطينيين الى الحرس المدنى. فى الحقيقة، بناء على رواية مزوَّرة من ظروف اغتياله، حاولت إسرائيل أن تنسب عملية الاغتيال إلى تصفية حسابات لصالح اللاجئين الغاضبين، حيث إنه كان هناك سببًا للتصديق أن هذه الرواية سوف تقبل على أساس إنها قابلة للتصديق. الضحية الثانية كان الملحق

العسكرى المصرى فى عمان، وبناءً على يايعرى، كان مساعد حافظ فى تعيين الفدائيين، وتسللهم إلى إسرائيل من الأراضى الأردنية. يقر يايعرى أن على أساس الوثائق التى بحوزته، يبقى التناقض فى وصف دور حافظ بدون حل. إلا أن الأحداث تتفق مع قناعة شاريت بخصوص استخدام المؤسسة الإسرائيلية الأمنية للإرهاب بلا حدود.

على الجانب الآخر، تؤكد يوميات شاريت، بدون أى مجال للشك، أن المؤسسة الإسرائيلية الأمنية تعارض بشدة كل الاستعدادات الأمنية على الحدود التى اقترحتها مصر والأردن أو الأمم المتحدة.

يقول شاريت إنه تنامى إلى علم ديان الاقتراح المصرى ـ الأمم المتحدة بتشكيل الدوريات المختلطة المصرية ـ الإسرائيلية ـ الأمم المتحدة، على طول الحدود لمنع التسلل وزرع الألغام. انفجر رئيس الأركان من الغضب، وصاح «ولكنى لا أريد أن تقوم الأمم المتحدة بمنع الألغام». من الواضح أنه اعتبر التأثير الرادع لاقتراح الدوريات المختلطة حول التغلغل الإسرائيلى فى القطاع أكثر تدميراً على أمن إسرائيل، من التسلل العرضى من القطاع إلى إسرائيل. فى الحقيقة، رفض بن جوريون الاقتراح، على أساس أنه سوف «يقيد يدينا».

(٢١) انظر نعوم تشومسكى فى «ذا نشن»، ٢٢ ـ ٢٩ يوليه عام ١٩٧٨، صفحات ٨٣-٨٨ عرض خمسة كتب حول العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، ومقالته «الإرهاب الحضارى»، فى «سبعة أيام» يوليه ١٩٧٦، صفحات ٢٢ ـ ٢٣.